نقابة المهندسين
كتاب غير دورى

مقدمات جديدة
فى
مشاريع البعث الحضارى

د. سيد دسوقى حسن

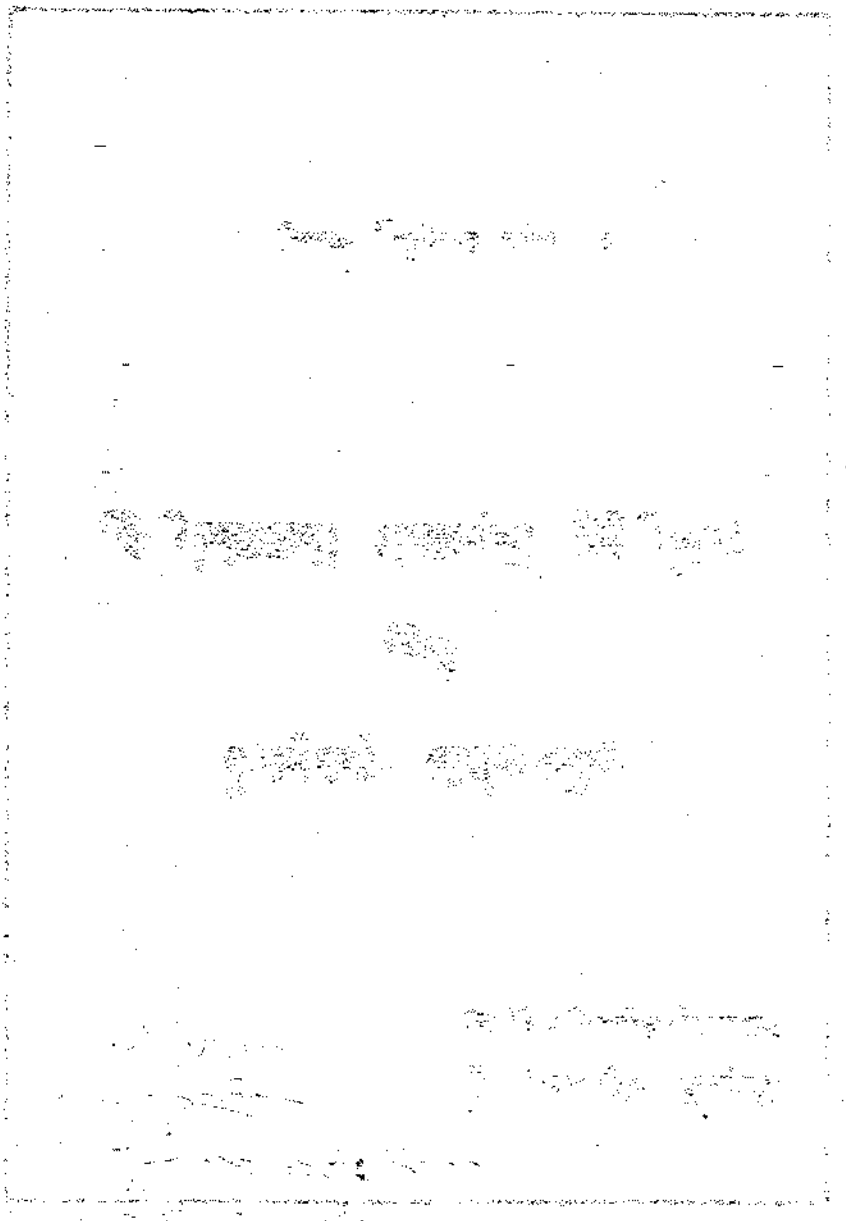

تمهيد

نحن ولاشك أمة فى مفترق طرق. فبعد أن كانت أمتنا مندفعة فى طريق التغريب مفتونة مسلوبة الارادة، تعالت صيحات الحكماء وأولى العزم تجذب الانتباه الى طريق التنمية الحقة والاصيلة والنابعة من عقيدتنا وقيمنا، ومشيرة فى الوقت نفسه إلى المهالك التى كان سيوردنا إياها المسلك الآخر. ومع تنامى الاهتمام بضرورة الحفاظ على الاصالة الحضارية لأمتنا، طرحت العديد من التساؤلات فى عقول العاملين المخلصين. كيف نخرج منّ حالة الازدواج الحضارى التى نجد أمتنا فيها؟؟ ازدواج بين وافد غريب وذاتى مغرب ، كيف يمكن تحقيق التوازن بين الحاجة الى الوافد وحتمية التكامل بين البشر وهو ما نؤمن به عقائديا، ونؤمن بأن العالم صائر اليه، وبين ما نسعى إليه من التنمية الذاتية والاستقلال عن الغير؟ وما هو التوازن بين الانعزالية وبين الانفتاح بلا ضوابط؟ وكيف نوازن بين طموحاتنا وامكاناتنا وكيف ننطلق من ذاتنا فى عالم تتشابك فيه العلاقات؟ ثم ما هى الفلسفة التى ينبغى ان تبنى عليها خطط تنميتنا؟ وما هو دور علمائنا ومهندسينا فى عملية بناء مستقبل حضارتنا؟ وكيف نبنى مؤسسات تستوعب علوم العصر وحضارته ونحتفظ فى نفس الوقت بخصوصيتنا الحضارية العقيدية؟ ان مثل هذه الأسئلة وغيرها تؤرق فكرنا فى نقابة المهندسين وتدفع بنقابتنا الى بذل الجهود لمحاولة تقديم اجتهادات فى سبيل الاجابة عليها وانارة الطريق أمام الباحثين عن السبيل الى فجر هذه الامة التى طال ليلها واشتدت ظلمته. والكتاب الذى بين أيدينا هو اجتهاد مشكور من هذا النوع.

واننا بنشر هذه الرسالة القيمة، لنرجو ان تنشط عقول وأفئدة للعمل الحضارى الذى تدعو إليه، وهى دعوة ليست للمهندسين فحسب ، وإنما هى لكل وطنى مخلص ذو توجه اصلاحى يريد به خدمة الأمة والمساهمة فى كشف الغمة. ونسأل الله تعالى ان يتقبل من الكاتب هذا الجهد وان يجعله فى ميزان حسناته وان ينفع به.

والله من وراء القصد

نقابة المهندسين

مقدمة

عندما بلغ الإمام المتحن أحمد بن حنبل في سجنه أن ابنه صالحا تقبل من الخليفة عطاياه أحزنه ذلك أشد الحزن وبكى وقال :

ماذا أفعل إذا أردت أمراً وأراد الله أمراً ...

ونحن ، في هذه الأيام الشداد تتوالى على أمتنا المصائب ولا نكاد نملك لها رداً ، ولا نرى في الأفق القريب بشائر تدل على عزم الأمة على الخروج من هذا المستنقع الرهيب .. ألا من بارقة أمل في أجيال جديدة يبزغ نورها من وراء الأفق رويداً رويداً ، وتكون هذه الأجيال أملنا في أن ترث الأرض ومن عليها وتقيم دولة الحق بعد أن طال أمد دول الظلم والبغي ؟! .

من كان يصدق أن الذي حدث للاتحاد السوفيتي سوف يحدث ؟.

ومن هذا الذي يصدق أن ما حدث للاتحاد السوفيتي سوف يحدث لا محالة لكل قوى الاستكبار العالمي ؟

إن كثيراً من المفسرين عندما يقرأون قول الله تعالى :

(الم . غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم) (سورة الروم : ١-٥).

يقولون كلاماً جميلاً يتعلق بحزن المسلمين على هزيمة الروم وهم أهل كتاب وانتصار الفرس الوثنيين كأهل مكة في معركة كانت بين الفرس والروم قبل الهجرة بقليل .

ولكنني أرى آفاقاً أخرى لهذه الآية العظيمة أحس بها هذه الأيام بعد أن انفردت قوة باغية بالعالم وبعد أن اندحرت قوة أخرى كانت توازنها لتخفف من حدة البغي والتسلط على المستضعفين . فعندما غلبت الروم أصبحت كفة الميزان راجحة لصالح الفرس والخشية الحضارية هي أن تصبح هذه الكفة راجحة لفترة طويلة ، فتستبد هذه القوة الغاشمة بالمستضعفين . فيأتي القرآن ليبشر أن الأمر لايعدو أن يكون تداولاً للقوة لفترات قصيرة «بضع سنين» لاتستطيع قوى الاستكبار خلالها أن تنفرد بالعالم .. وإنما يعود قانون «تداول القوة» للعمل وتغلب الروم بعد ذلك .

هذا القانون في حد ذاته هو من نصر الله ومن إرادته العظمى في حماية المستضعفين .

والرائع هو أن هذا القانون يُعَطَّلُ في حالة واحدة .. وذلك عندما تقوم دولة الحق كما قامت دولة الإسلام .

في مثل هذه الحالة لاتحتاج الإنسانية إلى تداول القوة بين البغاة من أجل التوازن .. لإنه لابغي هناك من الأصل ، ولأن دولة الحق تقوم على شريعة غراء تحمي العدل وتقوم على البر والقسط وتهدى للتي هي أقوم .

لذلك فإنني بشير بين يدي تغيرات عالمية تعيد التوازن بفعل قانون «تداول القوة» .. منطلقاً في بشراي من سر آية الروم العظيمة .

لذلك فإن تسلط قوى الاستكبار وانفرادها بنا في هذه الأيام العصيبة سوف يتطلب مزيداً من الجهد الخالص لوجه الله في ميادين الحياة جميعها ، بغية بناء القوة الذاتية روحياً واجتماعياً وتقنياً ... وحينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله القريب والبعيد .. القريب بإعمال قانون «تداول القوة» حتى يمنحنا سبحانه حصانة حضارية نعكف فيها على بناء القوة الذاتية ... والبعيد عندما يتولد عن هذه القوة الذاتية نظام دولي يقوم على البر والقسط ويهدي الإنسانية للتي هي أقوم .

وهذه الفصول التي بين يديك أخي القارئ هي كلمات ألقيها في آذان

المؤمنين أدعو الله أن يزيدهم بها قوة وثباتاً ، وهي كذلك امتداد لما بدأته من قبل في كتابنا «مقدمات في مشاريع البعث الحضاري» .. وإنني لأدعو الله أن أكون قد رجوت وجهه الكريم ، وأن أكون قد هُديت للتي هي أقوم ..

(ولله الأمر من قبل ومن بعد) ..

(والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لايعلمون)

سيد دسوقي حسن
١ ربيع الآخر ١٤١٢
١٠ أكتوبر ١٩٩١

شكر واجب

كان لأخي الأستاذ إبراهيم البيومي غانم فضل لاينكر في حثه إياى أن أجمع ما تفرق عندي من بحوث في كتاب واحد يكون امتداداً لكتابي «مقدمات في مشاريع البعث الحضاري» . ولقد عهدت إليه بجملة ماعندي من بحوث فعكف عليها في قراءة متأنية وظل يحرضني على مزيد من الكتابة من أجل التوضيح ومزيد من المراجعة حتى عزمت على عصيانه فاكتفى .. فله مني الشكر والدعاء إلى الله أن يحفظه هو وأقرانه من شباب علماء العلوم السياسية والاجتماعية .

كما أتوجه بالشكر لأخي الأستاذ هشام جعفر الذي ناقشني في كثير من هذه الفصول حين كتابتها فكان لحواره أثر في إعادة الكتابة من أجل مزيد من التوضيح .

(المؤلف)

الباب الأول

المنطلقات النظرية للبعث الحضارى

الفصل الأول : الهيكل الحضارى للتنمية

الفصل الثانى : الأخلاق الحضارية

الفصل الثالث : مقدمات فى التنمية الثقافية للأمة الاسلامية

الفصل الرابع : أسلمة المعرفة والمعرفة الاسلامية

الفصل الأول

الهيكل الحضارى للتنمية

في عالمنا الإسلامي لا تخطط الشعوب لمستقبلها إلا قليلاً . وهي إن خططت تضع هياكل ناقصة ، ثم تسأل بعد ذلك أين الداء .. وتستمع حينئذ إلى العلماء وهم يشخصون أدواء أمتهم فتشعر بالمرارة والغثيان .

والداء هو في كثير من الأحيان في المنظومات المفقودة أو هو في المنظومات الناقصة ، ولو انتبهنا إلى ذلك لوضعنا أيدينا على كثير من الأدواء الشائعة . ومن هذه المنظومات الناقصة منظومة التنمية ، وهي منظومة يعهد بتصميمها في بلادنا لرجال الاقتصاد وهم وإن كان لهم لدوراً لا ينكر في مثل هذا التصميم ولكنه جزء من كل ، ومن ثم يأتي التصميم دائماً ناقصاً ، ونعاني من تدهورنا التنموي والاقتصادي معاً .

وأشعر أحياناً وأنا أقرأ في سورة النحل أن آية واحدة منها تعطينا الفلسفة الأساسية للتنمية .. إقرأ إن شئت قوله تعالى (**وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من**

بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) (سورة النحل الآية : ٦٨ ، ٦٩) فالله تبارك وتعالى قد ألهم النحل أموراً ثلاثة .. كيف يسكن ، كيف يأكل ، كيف يكون حراً ، ثم عقب المولى بأن هذه الأمور الثلاثة متى تحققت في حياة النحل فإن هذه الحشرة الصغيرة سوف تعطي الإنسانية والوجود عسلاً مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس فهل لنا أن نقول أن هذا هوالمفهوم النحلي للتنمية ... وما الذي يمنع الناس أن يكونوا كالنحل .. وما دور الدولة وأنظمتها المختلفة في هذا المنع .. ما دور نظمها القانونية ونظمها الاقتصادية ونظمها التعليمية ونظمها الاجتماعية في منع الناس من أن يكونوا كالنحل .. ومتى تخلى الدولة بين الناس وبين ترابهم الوطني ليتفاعلوا معه .. وما هي التنمية من جانب الدولة إن لم تكن هي التخلية بين الإنسان وترابه الوطني يتفاعل معه في ظل عقيدة موحية بالخير وشريعة منظمة لهذا الخير حتى يصنع بنفسه ولنفسه مسكنه وطعامه وشرابه وكل حاجياته في هذه الحياة الدنيا في حرية يتطلبها وجوده الإنساني.

فإذا وضعت الدولة من القوانين والأنظمة المتعارضة والمتضاربة في مجالات الحياة المختلفة ما يعوق الإنسان عن التفاعل مع ترابه الوطني فلا تسل بعد ذلك عن تنمية أو نمو وبقاء

وقد تفعل الدولة ذلك عن جهل وقد تفعله عن سوء نية من قبل بعض الفلاسفة من أهل الحكم .. ولكننا نحسب أن معظمه يحدث عن طريق الغفلة ..

ولهذا يستدعي الأمر أن تكون هناك منظومات حاكمة تحدد أهداف أجزائها المختلفة بوضوح شديد وتنشىء لنفسها نظماً للمراجعة والمحاسبة ولعلنا في هذا البحث نضع الهيكل العام للتنمية وارتباطاته المختلفة بعالم الأشياء وبالتعليم والتدريب . ولابد من جهد يبذل لتفصيل هذه العلائق المختلفة والتأثير المتبادل بين المنظومات المختلفة .

حسبنا الآن أننا أشرنا إلى أهمية ذلك وطرحنا علاقات أولية .. ولعلنا نلخص تصورنا للهيكل الحضاري للتنمية في الشكل الآتي :

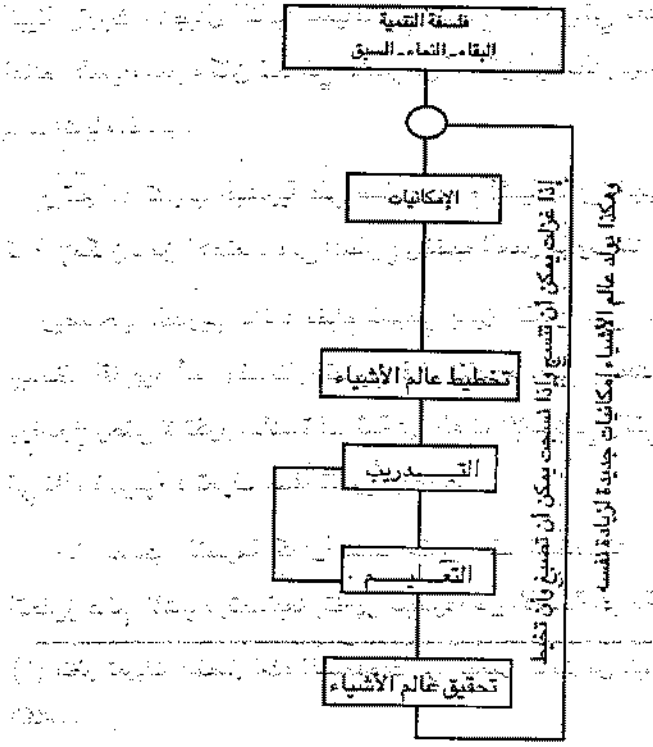

ملاحظات حول الهيكل الحضاري للتنمية

إذا نظرنا إلى الهيكل المرسوم نرى أن ترتيب الأشياء يبدأ من تصور فلسفة التنمية وتحديد أحد الخيارات الثلاثة : تنمية البناء أو تنمية النماء أو تنمية السبق[1] أو اختيار نسب من كل منهم تناسب حال الأمة أو المرحلة الآتيـــة .

ويتلو ذلك التعرف على الإمكانيات المادية والبشرية المتاحة مع الأخذ في الاعتبار مجموعة من الضوابط الحضارية حتى لا تستنفذ الإمكانيات وتلوث البيئة وتورث الأجيال التالية ضياعاً في ضياع ، ثم يأتي بعد ذلك تخطيط لعالم الأشياء سواء كان ذلك في الملبس أو المسكن أو المأكل وما حول ذلك من عالم أشياء خادم .

ويتلو ذلك تدريب البشرية على صناعة عالم أشيائها وإنتاجها مع التقليل - قدر الإمكان - من الاعتماد على الخارج وتنظيم العمل ما وسعنا الجهد .

ويصاحب التدريب دائماً نظام تعليمي يعين الناس على القدرة التدريبية ويلحظ القارىء أننا وضعنا التدريب قبل التعليم حتى يتحدد هدف التعليم بوضوح وحتى لا تكرر المأساة الدائمة في العالم الإسلامي والتي تطحن الناس في نظم تعليمية لا تعرف هدفاً تنموياً واضحاً .

فإذا مضت المنظومة كما أسلفنا نكون قد استعددنا استعداداً جيداً لتحقيق عالم الأشياء وتصنيعه وتظهر مجموعة من الأسئلة الهامة ..

---

(١) أنظر تعريفنا المفصل لهذه المصطلحات في الفصل الثالث من الباب الثاني من هذا الكتاب .

من الذي يحدد فلسفة التنمية ؟ من الذي يرصد الإمكانيات المادية والبشرية في الأمة ؟ من الذي يخطط لعالم الأشياء ؟ من الذي يصمم وينفذ منظومة التدريب والتعليم ؟ من الذي يقدم على تحقيق عالم الأشياء ؟

أحسب أن هذا كله يتم الآن بطريقة عشوائية من قبل مؤسساتنا الوطنية ، أما المؤسسات الأجنبية المنتشرة في معظم بلادنا فإنها تقوم بالتدخل السافر في تحديد فلسفة التنمية عندنا وتسهم في خلق وتكريس حالة الخلل وعدم الاتزان بين حاجات الناس وإمكانياتهم .

ولقد كان ذلك مقبولاً في الزمن البطيء لأن الاتزان بين حاجات الناس وعالم أشيائهم وبين إمكانياتهم كان يتم على مهل ، لكن في زمننا المتسارع في خطاه لا يتم هذا الاتزان بقوى وطنية وإنما يحدد دائماً بأغراض استعمارية.

فحالياً يولد عالم الأشياء بقوى خارجية وبضغط إعلامي وبتخليق شرائح اجتماعية تتخذ لنفسها عالم أشياء أجنبي ثم أجهزة الإعلام ، وقود هذا العالم للناس فيتدافعون إليه . ويزيد من حدة هذا الفساد انفتاح مجتمعاتنا عالمياً لكل المنتجين في الدول الاستعمارية وغياب المنظومة القادرة على تخليق عوالم أشياء وطنية والدفاع عنها . أي أننا أمام عالم أشياء قهري وتنمية قهرية .. مكونات هذا العالم من المواد الطبيعية و المصنعة معظمها من الخارج . ومن ثم فإنه ينتج مزيداً من التبعية من خلال الحاجة المستمرة إلى الخارج.

إن طبيعة عالم الأشياء القهري تؤدي إلى تناقضات أساسية في حياة الناس وأدت في حياة شعوبنا إلى النزوح المستمر من القرية إلى المدينة حتى اكتظت المدينة واختنقت .. فالبطالة سمة أساسية لحياة المدن أو عالمنا الثالث

حيث المرأة في هذه المدن محشورة في شقة لا تستطيع أن تنتج ولو أرادت .. والرجل يذهب إلى المقهى .. لاعمل له ولو أراد .. الأطفال مسجونون في زنازين يسمونها شقق وأباؤهم وأمهاتهم هم العسكر السجانون .. أنهم لايسمعون آناء الليل وأطراف النهار إلا أصوات أهليهم آمرين ... لا تفعل ياولد .. اتركي يابنت ، الحذر من فعل أي شيء قد يؤدي إلى العذاب .

ولأن الناس قد حشروا قبل يوم الحشر في بيوت خانقة وحواري ضيقة فلابد أن تظهر مشكلات المجاري والنظافة والمياه والكهرباء ثم أخيراً مشكلات الهواء .. الهواء الخانق الملوث بالموت الزؤام .

وفي مثل هذه المدن الكئيبة والتي تنمو بطرق سرطانية لا تسأل عن العلاقة بين السكن والعمل .. فالساكنون في غرب المدينة يعملون في شرقها ، وأولئك الذين يعملون في جنوبها يسكنون في شمالها .. وهكذا تتحرك المدينة كل يوم من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب ، وتهلك أطناناً من الوقود وآلافاً من المخلفات وتساعد على تشغيل آلاف من المصانع في البلاد التي فُرضت علينا نمط التنمية الذي نحاول اتباعه لاهثين .

انظر إلى مشكلة الزبالة مثلاً .. نفايات بيتك أين تذهب بها .. أنت تجهد نفسك في تنظيف بيتك وتلميعه .. ثم تلقي بزبالتك أمام بيتك ليلتقطها زبال ويقذفها بعيداً بعيداً عن المدينة في مزبلة عامة ، هذا إن حدث يكلف الأمة مالا تطيق ، ويضطرها إلى شراء أسطول من السيارات يحمل نفاياتنا إلى أماكن لم نكن بالغيها إلا بشق الأنفس . ذلك في الأحياء المحظوظة .. أما في بقية الأحياء فتظل الزبالة ملقاة أمام البيوت في الشوارع تعبث بها القطط والكلاب

فتنتشر في الطريق لتزيده مرضاً على مرض .. وربما حملها الهواء أو الأقدام مرة أخرى إلى بيتك ، فتظل تجهد نفسك فى دفعها خارجة في دوامة حضارية مضحكة مبكية .

ـ ولوكنت تعيش في بيت متسع كما كانت تعيش كثير من الأسر الممتدة في قرانا وصحرائنا ، في مثل هذا النمط من البيوت يوجد مكان يعيش فيه الحيوان والطيور .. بل هناك مكان خصص لزراعة ما تحتاج من الخضار ومن ثم ستتحول زبالتك إلى لحم طرى شهي .. أنت تلقي بقشرة البطيخ فيلتقطه البط ليصنع لك منه لحماً ويلتقطه البقر ليصنع لك منه لحماً ولبناً خالصاً سائغاً للشاربين .. حتى غائطك تخلطه بالتراب فيصبح سماداً طبيعياً لزرعك .. ليس كهذا السماد الكيماوي الذي يفسد أرضك ويذهب بخصوبتها مع الأيام .

والحقيقة أنه لا تثريب علينا أن تكتظ بعض المدن بهذا النمط التنموي في غفلة من الفهم الواعي على مستوى الدولة والأفراد ، على أمل أن نفيق ونقلع عن الاستمرار في هذا الطريق ، ولكن الذي يحدث هو أننا مستمرون بقوة ، حكومة وشعباً فى المضي في هذا الطريق حتى الكارثة .. ولقد بدأت الكارثة بآلاف العاطلين من خيرة شباب الأمة الذين عطلوا قهراً [1] عطلهم نموذج التنمية المستوردة إننا نجد في مجال الصناعات والأعمال الهندسية ـ على سبيل المثال ـ أن الأجانب هم الذين يقومون بالأعمال ويشغلون الوظائف في

---

(١) من العجيب أن بلداً مثل مصر كان بها خلال عامي ٨٦ ، ١٩٨٧ حوالي ٤٠ ألف (أربعون ألف) باحث من الحاصلين على درجة الماجستير والدكتوراة في مختلف التخصصات والفروع العلمية ومع هذا فهم عاطلون لا يجدون فرصة عمل (راجع الإحصائية المذكورة بتقرير مجلس الشورى المصري عن البطالة سنة ١٩٨٧) .

حين يقف عندنا جيش من حملة المؤهلات الهندسية لا يجدون لهـــم عمـلاً [٢] . وهذا هو ما نعنيه من التنمية المستوردة تلك التنمية التي لا تنظر فيمابين أيدينا وما خلفنا من مواد ولكنها تتطلع إلى أرض بعيدة لا قبل لنا بها .. وصدق الله إذ يقول :(**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب**) (سورة النور الآية ٣٩)

ولا يظن امرؤ عجول أننا ندعوا إلى نوع الحياة التي كانت سائدة في قرانا من قبل تلك كانت معيشة تتناسب مع زمنها .. وإنما ندعوا إلى نمط تنموي يستهدف عيش الإنسان عيشة كريمة .. عيشة يستخدم فيها أقصى ما يستطيع من جهد وأقصى ما يستطيع من إمكانياته ، عيشة يصنعها هو لا تصنع له .. عيشة يتفاعل فيها بأقصى قوة مع ترابه الوطني في ظل عقيدة مشجعة وشريعة منظمة .. عيشة يتفسح فيها في بحبوحة أرضه الواسعة ولا يتراكم فيها في مدن كئيبة مكتظة .

وفي المثال الذي ضربناه من قبل عن موضوع الزبالة بين المدينة والقرية يمكن استخدام الطرق الحديثة لتحويل الزبالة إلى طاقة منتجة فمثلاً يمكن استخراج البيوجاز من هذه المخلفات ويمكن استخراج نوع من السماد أحسن بكثير من سماد القرى ومن السماد الكيماوي .. ولكن ذلك يستدعي نظاماً للإعمار يختلف عن النظام السائد اليوم في مدننا الكئيبة .

---

(٢) تشير الإحصاءات إلى أن عدد خريجي الهندسة المتعطلين في الفترة من سنة ١٩٨١ إلى سنة ١٩٨٧ قد بلغ ٤٠٠,٠٠٠ (أربعين ألف مهندس ومهندسة) انظر : ندوة البطالة بين المهندسين (عقدت بجمعية المهندسين المصرية ٣١ ديسمبر ١٩٨٨ ـ ١ يناير ١٩٨٩) ص ٤٩ .

التخطيط لعالم الأشياء

إذا حاولنا الآن أن نضع مخططاً عاماً لعالم الأشياء الذي نحتاج إليه فإننا نستطيع أن نحدده في الآتي :

(١) اختيار فلسفة التنمية [بقاء أم نماء أم سبق]

(٢) المنتج ... توصيف عام لمنتج ضروري ومدى الحاجة الحضارية له عملياً وقومياً وعالمياً .

(٣) المواد المستخدمة وما هي نسبة المواد المحلية إلى المواد المستوردة . وما هي احتمالات تقليل المواد المستوردة واستبدالها بمواد محلية أو مواد موجودة في منطقة صديقة من مناطق الكيان الاجتماعي الحضاري الإسلامي والجدوى الاقتصادية والحضارية وراء أي اختيار .

(٤) طرائق تشغيل المنتج . طرائق يدوية لاتحتاج إلى ميكنة (تعظيم هذه الطرائق) طرائق تحتاج إلى ميكنة مع دراسة احتمالات التشغيل المختلفة والجدوى الاقتصادية والحضارية لأي اختيار .

(٥) التدريب على تشغيل المنتج . توصيف تشغيل المنتج توصيفاً دقيقاً مع دراسة تقسيم عمليات التشغيل إلى أشياء بسيطة يمكن التدرب عليها بسهولة .. هل يحتاج التدريب إلى مناخ تعليمي عام وقدر من التعليم معين على مستوى المتدرب مثلاً .

(٦) التعليم من أجل التدريب . نوعية التعليم المطلوب ومستواه .

(٧) منظومة فنية واقتصادية لتصنيع المنتج وتسويقه .

ونقترح هنا أن نعمل قاموس بعالم الأشياء المرجو على مستوى الحي أو المنطقة أو الدولة حسب نوع التنمية وحسب مجالها من حيث هي تنمية شاملة أم تنمية محلية .

ولنضرب مثالاً مفصلاً لما سبق وهو مثال اللباس

(١) فلسفة التنمية .. اختيار تنمية البقاء مثلاً حيث لا استثمارات ومن ثم لا مصانع ضخمة ولا قروض ولا فوائد وإنما ينبغي أن يتم كل شيء بجهد ذاتي ودون الاعتماد على الخبرات الأجنبية .

(٢) المواد المستخدمة .. القطن ـ الكتان ـ الحرير ـ الصوف .

(٣) طرائق تشغيل المنتج والإمكانيات المتاحة ووجود معرفة بعمليات الغزل والنسيج والصباغة والحياكة لنماذج وطنية من الملابس . ووجود معرفة بتصنيع آلات بسيطة للقيام بهذه العمليات المختلفة ، رغبة وتوجه لدى الناس للعمل اليدوي ، رغبة وتوجه لدى الناس لاتخاذ اللباس الوطني وصدود عن التقليد .

(٤) وجود منطوق للتدريب . نقوم بتقسيم العمل وصولاً به إلى حرف يدوية صغيرة ثم عمل نظام لتوزيعه على الناس ليدء شرارة الأسر المنتجة والتي يمكن أن تنمو بعد ذلك ذاتياً .

(٥) تعليم الناس التعليم الكافي لخدمة المنظومة التدريبية والتصنيعية .

(٦) تخليق عالم الأشياء الضروري لبدء الصناعة المطلوبة (مثل صناعة الأصباغ والأنوال) .

(٧) بدء تصنيع عالم الأشياء من خلال منظومة تقوم بدور الشرارة ثم يترك الأمر للنمو الذاتي .

الأصول الإسلامية لنظريتنا التنموية

قلنا أن التنمية من وجهة نظر الدولة هي التخلية بين الإنسان وترابه الوطني ليتفاعل معه في ظل عقيدة موجهة بالخير وشريعة منظمة لهذا الخير ليصنع لنفسه وبنفسه مسكنه ومطعمه ومشربه وكل احتياجاته في هذه الدنيا في حرية يتطلبها وجوده الإنساني .

ولقد ذكرنا من قبل أن آية سورة النحل هي التي أوحت إلينا ببعض هذه المعاني ، ونضيف أن لكل تنمية مناخاً عقيدياً تنشأ فيه وفكراً سلوكياً يصبغ تفاعل الإنسان بترابه الوطني وشريعة تحدد أطر هذا التفاعل .

ومن هنا يأتي دور الإسلام كعقيدة وسلوك وشريعة فالعقيدة مطلوبة لتحديد نظرة الإنسان إلى الكون والحياة والناس من حوله ... وهل هي عوالم صديقة نتفاعل معها بإحسان أم هي عدو نقهره .. وهل إعمار الأرض واجب على الإنسان بحكم عقيدته أم أنه أمر اختياري .

وما علاقة الإعمار بالترف وأين الوسيطة بين إعمار الأرض وترف الناس .. وما معنى إعمار الأرض .. هل هو إفناء كنوزها المدفونة وتدمير بيئتها المحيطة أم أن هناك حلالاً وحراماً في كل هذا الذي ذكرناه .. !

تحضرني هنا قصة موسى والعبد الصالح في سورة الكهف عندما استطعما أهل قرية فأبوا أن يطعموهما فوجدا جداراً يريد أن ينقض فأقامه

الرجل الصالح فيقول موسى لوشئت لاتخذت عليه أجراً ... فيقول له الرجل الصالح في تفسير هذا الحدث (**أما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمةً من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبراً**) (سورة الكهف الآية ٨٢)

فأمر الله أن يبقى الكنز خافياً حتى يستطيع أصحابه أن يستخرجوه بقوة سواعدهم وبقوة علمهم أي أن الإرادة الإلهية شاءت أن يختفي الكنز حتى يبلغ الغلامان أشدهما من قدرة على الاستخراج سواء كانت هذه القدرة قدرة بدنية أو قدرة علمية .

فإذا نظرت اليوم ورأيت علماء المسلمين وقادة لهم يتسارعون وراء الأمم القوية ليكشفوا هم كنوزنا ويستخرجوها لأنفسهم ويتركوا لنا الفتات فاعلم أن هذا سلوك يحرمه الفهم القرآني أشد التحريم وأن هذا ليس من التنمية الإسلامية في شيء .

والانتشار فضيلة إسلامية (**ياأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون**)

(سورة الجمعة الآية ٩ ، ١٠).

فإذا كان التفسح فضيلة في المجالس وهي بطبيعتها مكتظة ، فما بالك

بالتفسح في العيش في الأرض وهي ذلول رخية .. (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) (سورة الملك الآية ١٥). والذين يكتظون في الأرض يتدافعون بالمناكب فى كل شيء فتنشأ بينهم أمراض الاكتظاظ ويكثر بينهم الشجار ويستدعى ذلك ضبطاً شديداً من قبل الإدارة يتحول مع الأيام إلى قهر واستعباد ويقلص حرية الفرد رويداً رويداً حتى تصير إلى زوال .

ومن ثم فان الدولة التى تصوغ قوانينها ونظمها بحيث تقيد انتشار الناس وتدفعهم دفعاً إلى الاكتظاظ هى دولة حائدة عن مفهوم التنمية فى الإسلام .

إننا نقرأ منذ الطفولة سورة قريش (**لإيلاف قريش . إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا رب هذا البيت . الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**) يقول الإمام الألوسي فى تفسير الإيلاف :

الإيلاف على ما قال الخفاجي مصدر ألفت الشيء وآلفته من الإلف ، وهو كما قال الراغب : اجتماع مع التئام .

ويضيف الشيخ حسنين مخلوف معنى آخر فيقول : إيلاف : مصدر ألفت فلانا الشيء إذا ألزمته إياه . فكأن الله يمن على قريش أنه قد هداهم إلى إيلافهم نوع التنمية الذي كان مناسباً لهم وهي هذه الرحلات المستمرة في الصيف والشتاء . ويوجههم أن يتوجهوا إلى الله بالعبادة ، ويعلم الإنسانية أن التنمية القاصدة إلى ربها هي مصدر الإطعام من الجوع والأمن من الخوف .

والدولة الراشدة هي التي تتعلم هذا الدرس من قرآن ربها . فتضع نصب

أعينها كيف تخترع من الوسائل ما تجعل الناس يألفون تنمية مختارة ثم تقوم هي بحماية هذه التنمية القاصدة من مكر الأعداء . ويمكن أن نقول أن دور الدولة يتلخص في الأمور التالية :

ـ التفكر في نوع التنمية الراشدة بالنسبة للأمة .

ـ إيلاف الناس هذا النوع من التنمية من خلال الإرشاد والتعليم والتدريب .

ـ حماية المنجزات التنموية من مكر أعداء الأمة ومن العقبات الكؤود الداخلية حتى يسلك الناس سبل ربهم ذللاً من أجل بناء تنميتهم بأنفسهم ولأنفسهم .

وسورة قريش في مصحف أبي ابن كعب تقرأ هي وسورة الفيل كسورة واحدة وكأننا نفهم من دمج السورتين معاً أن الله وقد كفى الناس شر الظالمين وجعل كيدهم في تضليل أنه سبحانه ألهم نوع التنمية القاصدة .

فإذا قامت الدولة بهذا الدور الثلاثي الأطوار فعليها حينئذ أن تخلي بين الناس وبين الأرض يتفاعلون معها في حرية وعدل .

والتنمية الحقة هي التي تحقق وسيطة بين فضيلة الانتشار في الأرض المظلوبة من أجل الإعمار وبين قدرة الدولة على السيطرة الأمنية واستدعاء الأطراف عند الخوف من غير أن يستحق الإنسان في اكتظاظ مرضي أو أن يفقد الانتماء في انتشار تخلخلي يفقده الارتباط بالدولة وفكرتها .. والقصد والاقتصاد هما جوهر التعامل الإنساني مع البيئة المحيطة في النظرة الإسلامية عموماً .

(**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين**) (سورة القصص: الآية ٧٧)

فابتغاء وجه الله وعدم الإفساد فى الأرض والإحسان إلى من حولك وأخذك نصيبك كريما من الدنيا هو القصد الذى يبتغيه الإسلام لك .. ولكنك فى كل هذا (**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً**) (سورة الإسراء: الآية ٢٩)

وإنه ينبغى عليك أن تقتصد ولو كنت على نهر جار . وما عال من اقتصد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والترف ظاهرة محتقرة فى القرآن الكريم وهى من أمراض الحضارات التى تعمل فى النهاية على تقويض ما أنتجه الإنسان فى فترات السمو الروحى والنمو العقلانى .

ولذلك ينبغى أن يخطط المجتمع المسلم لتنمية بحيث لا تؤدى بطائفة من هذا المجتمع أو بالمجتمع بأكمله إلى نزيف مهلك فإذا كان الخيار فى تخطيط منظومتنا التنموية بين تكثيف العمل أو تكثيف الإنتاجية اخترنا تكثيف العمل . ذلك أنه يمكن أن نكثف الإنتاجية من خلال الميكنة بينما نكثف العمل من خلال جهد الناس ..

وفى ظروف مجتمعاتنا حيث يستدعى تكثيف الإنتاجية رأس مال ضخم لشراء مصانع من غيرنا يصبح الخيار واضحا لا لبس فيه .. ألا وهو خيار تكثيف العمل

ولأن الإسلام يعظم الوسطية فى الاستمتاع بطيبات الحياة الدنيا من مأكل ومشرب وملبس ومسكن بينما يعظم الاستعداد بالقوة لإرهاب أعداء الله فى الأرض فينبغى على مخططى التنمية أن يأخذوا ذلك فى الحسبان فيعيش الناس فى حياتهم بتنمية البقاء متأسيين بسيرة سيد الخلق «اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً» بينما كان هذا النبى الأمى عليه أفضل الصلاة والسلام يرسل البعوث ليتعلم المسلمون صناعة المنجنيق.

من أجل ذلك ينبغى على المسلمين أن يحرصوا على تنمية النماء أو تنمية السبق فيما يختص بأمور الدفاع وإرهاب أعداء الله .. إن توجيه الله للمؤمن فيما يتعلق بسعيه فى الحياة ليحقق أكثر من احتياجاته الأساسية قد جاء فى القرآن فى سورة الرعد فى آية عظيمة تقول : (**أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه فى النار إبتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال**) (سورة الرعد : الآية ١٧)

فالحلية والمتاع زبد يذهب جفاء فى رحلة الإنسان الكونية .. ويبقى دائماً ما ينفع الناس فى الأرض .. يبقى للناس فى رحلتهم الممتدة ..

إن الله تبارك وتعالى لا يمنع الناس أن يتزينوا بالحلى وأن يستمتعوا بالطيبات ولكنه يجمل لهم القول وينبئهم بالحقيقة الأزلية .. إن هذه الحلى وهذا المتاع زبد يذهب جفاء فى رحلتهم الكونية الممتدة أبد الآبدين . والرسول عليه

أفضل الصلاة والسلام لم ينه هذا الصحابى الذى ولد يطيل المكث فى زخرفة داره ولكنه ابتسم وقال مداعباً .. الأمر أعجل من هذا ..

وعلى كل حال مطلوب من الإنسان المسلم أن لا يفسد بيته ولا ينضب خزائن أرض الله من طاقة إبتغاء حلية أو متاع .. أو ليست الطاقة هى مصدر هذه النار التى يوقدون عليها ابتغاء حلية أو متاع .

الفصل الثاني

الأخلاق الحضارية

في فترات الانحسار الحضاري للأمة يهتم الصالحون منها بالجانب الشخصي الأخلاقي ويهملون الجوانب الحضارية إهمالاً بيناً ، ولأننا والحمد لله نستعد لمد حضاري قريب فإنه ينبغي أن نبذل جهداً خاصاً في التعرف على الجانب الحضاري الأخلاقي ونعض عليه بالنواجذ ونتواصى به جميعاً .. وعلى الله قصد السبيل .

ولعلي أوجز بعض جوانب الأخلاق الحضارية في سباعية حيث أجدني دائماً أصوغ أفكاري في سَبْعِيَاتٍ ، هل أقول كما قال صديق العمر الدكتور يوسف القرضاوي :

سبعية والسبع تحلو في فمي أبداً حتى لكدت يقال لي ذا السبع

على غرار قوله :

نونية والنون تحلو في فمي أبداً حتى لكدت يقال لي ذا النون

١ ـ البر بالأوطان هو الامتداد الطبيعي للبر بالآباء

إن هذا المبدأ الأخلاقي سوف يعيد إلينا الشاردين من أبنائنا في أرض الله ، فكل من لقي شدة يبحث عن غير ذات الشوكة ويتمنى أن تكون له . نحن

تربي وتنمي طاقاتنا العلمية لغيرنا .. صحيح أن القوى الطاردة لهذه الطاقات ضخمة ومتعددة لدرجة أننا سمينا واستحدثنا وزارة لهجرة الكفاءات ، وأضيف إلى هذا وهم شائع أن كل إنسان حرفي أي أرض يهبها نفسه وجهده ، ولامانع عند هؤلاء أن يجعلوا ذلك جزءاً من الاعتقاد الديني بل يجعلون من مخالفة ذلك شركاً .

وهذا كله من ظلال الضعف المستخدم أمام الشوكة (**وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم**) (سورة الأنفال : من الآية ٧) كما أن الهجرة لاتكون إلا لواجب .

أعرف زميلاً لي عاد من البعثة ومكث عاماً واحداً ثم ولى الأدبار الى أمريكا ، زرته مرة هناك رأيته يعمل ليل نهار وقد أصبح نجماً علمياً لامعاً ، فسألته وهو الرجل المتدين : إلى أين ياأخي ؟ .. وإلى متى ؟ قال : إلى أن أصبح أستاذاً في الجامعة الفلانية ، قلت : تبا لك وتبا لتلك الجامعة .

هل طالبك ربك أن تخفض جناحك لغير والديك ؟ إن البر بالأوطان - ولو كانت مشركة - والحمد لله هي ليست كذلك - هو الامتداد الطبيعي للبر بالآباء ولوكانوا مشركين ..

ويذكرني ذلك برسالة أرسلها لي أستاذ باكستاني حائز على جائزة نوبل في العلوم يدعوني فيها للتعارف وإلى زيارته وأرسل معها محاضرة ألقاها في إحدى المناسبات قرأت فيها أنه خير بين باكستان والعلم فاختار العلم على باكستان .

أو هذا الطبيب الذي زارني مرة وكان معنا مجموعة من الأصحاب فقدم

نفسه هكذا : أخوكم فلان .. مسلم .. ولدت في مصر ، وقد نسى الصديق أن المسلمين الأوائل كانوا يتسمون بأسماء بلادهم ولا تثريب عليهم في ذلك فهذا هو البخاري والغزالي والسمرقندي والترمذي .....

كل هذه الصور هي صور عقوق حضاري ينبغي لنا أن نستعيذ بالله منها .

على أن بر الأوطان لايعني بالضرورة البقاء فيها ، وإنما يعني مساعدتها في الخير والعمل على أن يعيش أهلها عيشة طيبة في ظلال الإسلام الوارف الظلال .

ونحن قد استخدمنا لفظة البر التي استخدمها القرآن في الحديث عن الآباء ، حيث لم تستخدم لفظة الطاعة مثلاً ، ومفهوم الطاعة مفهوم شائع في الحديث عن الآباء وهو مفهوم خاطىء ، بل إن لفظة الطاعة جاءت بصيغة النفي : (**وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلاتطعهما ... وصاحبهما في الدنيا معروفاً** ... (سورة لقمان من الآية ١٥) .

والمطلوب تجاه الأوطان هو البر وليس الطاعة العمياء وترجمة هذا البر إلى المصاحبة بالمعروف والجهاد من أجل أن تحيا هذه الأوطان حياة طيبة جزاء ما قدمت لك من معروف في حياتك من خلال مؤسساتها التي أرضعتك العلوم ومهدت لك السبيل ووفرت لك الأمن .. باختصار أنت تحمل في عنقك ديناً لها ...

ولاتحتج علينا متفلسفا بأن الإسلام دين عالمي وكذلك سعيي في الحياة .. اختار الوطن الذي أحب وأعيش حيث أريد .. فذلك سبيل جائر .

والقصد هو أن تدرك الفرق بين « عالمية الإسلام » و« خصوصية الواجب» .

نعم الرسالة عالمية ولكن واجبك أنت كفرد خصوصي ،حتى إذا أحيط بك وبين العمل على رفعة وطنك وهاجرت مضطراً ينبغي أن يظل الأمر في السويداء من قلبك .. رغبة كامنة أن يحيا قومك حياة طيبة وأن تسعى في سبيل ذلك ما وسعك الجهد وأسعفتك الحيلة .

٢ ـ التأهب لفروض العين وفروض الكفاية

من الظواهر الملفتة أن الناس أصبحت تتدافع إلى التخصصات والأعمال المختلفة اندفاع رزق وليس اندفاع واجب ، ومن ثم فما حققوا رزقاً ولا أدوا واجباً ..

والأصل في الأشياء أن الرزق مكفول في السماء (وفي السماء رزقكم وما توعدون) (سورة الذاريات الآية ٢٢) .

وأذكر أنه كانت تتملكني الرغبة الشخصية لدراسة الحقوق أو دار العلوم حين حصلت على الثانوية العامة حتى لقيت أستاذاً لى في مدرسة الدعوة هو الأستاذ محمود يونس رحمه الله فقال لي : «نحن في حاجة إلى مهندسين يصنعون لنا طائرات وصواريخ ، فكر في الهندسة خير لك ولأمتك» .

وكان أن توجهت إلى الهندسة التي لم تخطر لي على بال قبل ذلك ثم إلى الطيران والصواريخ .

إن هذا التأهب لفروض العين وفروض الكفاية يحتاج إلى همة حضارية تصقل بالتربية وبالقدوة المنتشرة ، وأذكر في هذا المقام قصة الإمام الشهيد حسن البنا التي توضح قدر التأهب الحضاري الذي كان يمتلىء به صدر هذا الرجل العظيم :

« في امتحان الليسانس .. حسن يمتحنه اثنان من أساتذته .. سأله أحدهما كم تحفظ من الشعر قال ١٨ ألف بيتاً . قال : هل تحفظ معلقة طرفة بن العبد ؟ قال : نعم . قال هل تذكر فيها بيتا أعجبك ؟ قال : نعم قال : ما هو ؟ قال:

إذا القوم قالوا من فتـــى ... خلت أنني عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

فهاج الشيخ وماج وخلع عمامته وألقاها على المكتب وسأله زميله الآخر : ما الذي حملك على هذا ؟ قال : وقفت نفس موقف هذا الفتى أمام الإمام محمد عبده وسألني نفس السؤال فظللت أذكر له بيتاً من هنا وبيتاً من هناك والشيخ يعرض عني وفي النهاية قال أتذكر قصيدة طرفة ولا يذكر قوله :

إذا القوم قالوا من فتـــى ... خلت أنني عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

وهذا الفتى سألته نفس السؤال وأجاب من أول مرة ، إنها الهمة العالية.

ولعل من أهم واجبات العمل الإسلامي أن يستثير همم الناس ويشحذ فاعليتهم ويضعهم في بدايات العمل الحضاري الذي ينبغي أن نبين لهم آفاقه من خلال الوعي المستنير لخريطة الأعمال الحضارية .

٣ ـ الوعي المستنير بخريطة الفروض الحضارية

نحن في حاجة ماسة إلى استثارة بطبيعة الفروض الحضارية حتى يتدافع إليها الناس ، حيث يتدافع ذوو التوجهات الإصلاحية في بلادنا كثيراً إلى أعمال تأتي في نهاية الخريطة وينسون أعمالاً تأتي أعلاها ، جماعات كاملة تقام لتقاتل المسلمين في أمور جاء فيها الشرع بسعة ، ورغم ذلك يريدون أن يحملوا الناس على آراء بعينها ، فالنقاب أو الموت ، رغم أن في الشرع سعة . ولو قالوا للناس الحجاب أو النقاب لكان خيراً لهم ولمجتمعاتهم ، وإذا كانت وحدة المسلمين غاية في ذاتها فان بعض الجماعات تقوم على التمييز المذهبي لشحذ الخلاف بين المسلمين . كما أننا نرى في الساحة جماعات تقوم على الفرقة السياسية وتدفع إليها المسلمين دفعاً ، وإن الاندفاع العابث في تسيس هذه المجتمعات أمر في منتهى الخطورة ، فنحن في حاجة إلى دفع هذا المسلم في معركة البقاء والنود عن حقه في الحياة ، ولزم أن يكون هذا الإنسان منتجاً ليتجاوز الأزمة من جذورها .. فلن يفكر جائع يعضه الجوع ...

ونحن نقول أن المسلم ينبغي أن يضع أولويات عمله واضعاً في الاعتبار قدرته الخاصة ... ثم أي الأعمال أنفع للمسلمين وأسرع في اقتناء الخير .

أحياناً يضع المسلم لنفسه هدفاً ضخماً لايقدر عليه ، ويتعلل به عن الأعمال المناسبة لقدرته ، ثم في النهاية لا ينجز شيئاً صغيراً أو كبيراً ، ويتحول هذا الانسان المسلم رويداً رويداً إلى كتلة كلامية لاتسمن مجتمعاتها ولا تغنيها من جوع .

تذهب إلى أقصى النجوع والعزب فترى مسلمين يتقطع قلبك على حالهم

البائس الحزين وهم يحاورونك في المؤامرة العالمية ضد الإسلام ، ويجادلونك عن نصيب كل دولة كبرى في المؤامرة وينسون أن جزءاً من عملية إبطال هذه المؤامرة في أيديهم .. إنهم لا ينتجون طعامهم ولا كساءهم وهم عالة على دولة بائسة استسلمت للكيد الاستعماري .

ماذا عليهم لو أنفقوا أوقاتهم في إنتاج طعامهم حتى يستغنوا عن الاستعمار أولاً .

والحق أننا ينبغي أن نفهم طبيعة التحدي الحضاري ومايستلزمه من أعمال . وبالطبع تختلف طبيعة التحديات من بلد إلى بلد . فطبيعة التحدي في مصر تختلف عن طبيعة التحدي في أمريكا .

ففي بلد كأمريكا حيث يعيش الناس في ظل نظام اجتماعي قاهر وحيث تتألق الحضارة الغربية في أبهى صورها ، يواجه المسلمون تحدياً مختلفاً تماماً عن التحدي الذي يواجهه مسلم يعيش في بلد عربي كمصر أو السعودية في بلد كمصر يواجه المسلم تحدياً ذا شقين .. شق يتعلق بمواجهة الاستعمار وشق يتعلق بعمليات البناء الحضاري .

بينما يواجه المسلم الأمريكي في وضعه الراهن تحدياً يتلخص في كيف يشحذ فعاليته الروحية ليواجه الضغط الاجتماعي الذي يحيطه من كل جانب وليصبح منارة إشعاع سلوكية تخطف أبصار من حوله إلى الفكرة الإسلامية الكامنة خلف هذا السلوك المضيء .

في زيارة للولايات المتحدة خلال مارس ١٩٨٩ ألقيت محاضرات تتعلق بالبعث الحضاري الإسلامي لطلابنا الذين يدرسون هناك ، ولكنني اكتشفت أنه

ينبغي أن أحاضر أيضاً الجاليات المهاجرة هناك والتي تعاني أشد المعاناة من القهر الاجتماعي الأمريكي والذي يمارسه المجتمع القوي على عقلية وسلوك هذه الجاليات وخاصة الأجيال الجديدة .. وعجبت أن العاملين في حقل الدعوة الإسلامية حملوا إلى هذه الجاليات كل ما تعانيه شعوبنا في الوطن العربي من مشاكل ونسوا مشاكل هؤلاء الحقيقية ... واضطررت أن أبذل جهداً خاصاً في محاولة تفهم الظواهر الاجتماعية على أمل أن أوجه إليها أنظار بعض العاملين في شؤون الدعوة هناك .

٤ ـ الاستعلاء النفسي : (الثقة في الله)

إن الاستعلاء النفسي الذي ينبثق من عمق إيماننا بعظمة القيم الحضارية التي نؤمن بها والتي ينبغي أن نقيم عليها حضارتنا المرتقبة هي الأساسيات التي سوف نقاوم بها ظاهرة « القابلية للاستعمار » .

وصف الجبرتي يرحمه الله الجيش العميل الذي كونه المعلم يعقوب أيام الاحتلال الفرنسي وصفاً ينبىء عن احتقار الأمة لهم « فهم نفر اتخذوا زي الفرنجة ولكنك كنت تعرفهم بكلاحة مناظرهم ونتن رائحتهم » أو هكذا تصور الشيخ الجبرتي .

وعندما عملت فترة في دولة خليجية كنت أرى كل يوم رجلاً عربياً ومعه شقه الأجنبي .. ازدواجات تمتلىء بها المصالح العامة والخاصة في عملية نهب باسم التقنية القومية .

فلما عدت إلى مصر رأيت عجباً .. جيشاً من العملاء للشركات الكبرى في

العالم ، كل عملهم أن يتجسسوا لهم عن السوق المصرية ويعلموهم بنية الحكومة قبل أن تنوي ، جيش فيه كل الناس كافرهم وصالحهم وكأن الكفر والصلاح لاعلاقة له بالتنمية الوطنية ، وأصبح الناس يتسابقون للحاق بجيش الشركات الكبرى والصغرى.

ماذا نسمي هذا السلوك العام ؟ هل هناك تسمية تليق به غير التجسس المقنن ؟.

ياقوم نحن في حاجة لأن نقهر القابلية للاستعمار في نفوسنا ، ونصبر على الشدة التي نعيشها ونصنع حياتنا بأيدينا .. وأن القابلية للاستعمار تبدأ دائماً بتبني منتجاته ... وأن أول السيل قطرة.

ويجب ألا يختلط في أذهاننا الاستعلاء النفسي بظاهرة « الجاه الكاذب » أو بظاهرة « التطفيف الاجتماعي »

٤ ـ ١ – الجاه الكاذب

تأثرت في صباي بسيرة بعض السلف الصالح الذين كنت أقرأ عنهم في مجلة « المسلمين » التي كان يصدرها د . سعيد رمضان في أوائل الخمسينيات.

كان أستاذنا البهي الخولي عليه رحمة الله يكتب فيها باباً تحت عنوان «مع العارفين » ينتقي فيه رجلاً من أسلافنا العظماء ويعرض سيرته العطرة

بطريقة مميزة تركز على جوانب القوة في أخلاق الرجل ، وتظهر القيم المشرقة في سلوكه ويربط ربطاً جميلاً بقيم القرآن وآفاق النبوة المطهرة ، وممن لا أنساهم في هذا الرعيل العظيم من أسلافنا الصالحين العارف بالله عتبة الغلام .

كان عتبة شديد التواضع جم الأخلاق ، خرج يوماً مع جمع من تلامذته إلى رحلة بالبحر ، حتى إذا ركبوا السفينة ومضت بهم بعيداً عن اليابسة يكتشف البحار أن في قاع السفينة خرقاً ، و ينظر فيمن حوله من الركاب ليجلسه فوق الخرق حتى يمنع الماء من دخول السفينة ..وإذ هو يقلب النظر بحثاً عن أقلهم شأنا وأهونهم على الناس .. فيختار عتبة الغلام للمهمة .. وتشراب أعناق تلامذته نوداً عن أستاذهم ، فيشير إليهم أن يسكتوا ويتقدم للمهمة فرحاً مسروراً .

وفي يوم من أيام الله .. وقد نادى المنادي أن ياخيل الله اركبي ... فيتقدم الفارس عتبة ، وكأنما أحس بدنو أجله وأن هذا آخر عهده بالدنيا ، فيدعوا الله دعاء محباً جميلاً .. يقول : اللهم احشرني في حواصل الطير وبطون السباع .

يقول الذين كانوا معه : لقد بحثنا عنه في أعقاب المعركة فما عثرنا على أثر .

يمثل عتبة والذين آمنوا معه والذين اتبعوه بإحسان أناساً يحيون حياة طيبة ويتركون من ورائهم إنسانية مؤمنة ويملأون جو الحياة بأريج إيماني رائع ... ذلك أنهم يعلمون أمثالنا أن كل جاه لايتصل بالله فهو جاه كاذب ، وأن ذروة

الجاه أن تكون في معية الحق الذي يأمرك أن تتواضع لليتامى والمساكين والضعفاء وأن تنتصر لهم في معركتهم مع الباطل .

يقول جاكسون عن حسن البنا :

«لقد أفلت حسن البنا من الغوائل الثلاث : غائلة الجاه ، وغائلة المال ، وغائلة المرأة . وهذه هي الغوائل الثلاث التي يسلطها الاستعمار على أذنابه ليسهل بعد ذلك قيادهم » وصدق الله العظيم : (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) (سورة فاطر من الآية ٩) .

ولعلنا ونحن ننظر في أنفسنا ومن حولنا نكتشف بسهولة غائلة المال وغائلة المرأة ، ولكننا لانتنبه كثيراً إلى غائلة الجاه ، وكيف تعمل على تدمير العلائق بيننا وتنتهي دائماً بمن لا يتعامل معها في نفسه كغائلة يجب مقاومتها ... تنتهي إلى الخطيئة الكاملة .

وربمايملك الرجل إمكانيات الجاه بما حباه الله من تفوق وعبقرية في مجال نافع للناس .مثل هذا الرجل الموهوب لا يطلب منه ربه إلا أن يسخر ماأتاه الله في طاعته وأن ينزع من نفسه المقولة القارونية « إنما أوتيته على علم عندي »وأن يبتغي فيما آتاه الله الدار الآخرة وأن يحسن كما أحسن الله إليه ، وألا يبغي الفساد في الأرض .

والحقيقة أن مثال قارون يجب أن يكون في العقل الباطن لكل مؤمن كمثال

لرجل آتاه الله جاهاً عن طريق المال فعتى عتواً كبيراً . فخسف الله به وبداره الأرض ، وما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين .

ولكن تشتد المصيبة فيمن لا يملك إمكانيات الجاه ثم يشتعل في صدره حريق شوقاً إليه .

من مثل هؤلاء يصطاد الاستعمار أعوانه وأذنابه ، ويمثل هؤلاء يسعى الشيطان لتحطيم القيم العليا في المجتمع ، وكما قلت من قبل أن شيطان الجاه في نفس الإنسان يتدرج به في سبيل هذا الجاه من ذنب إلى ذنب حتى يورده كل الذنوب ويصل به لامحالة إلى الكبائر ... إلا أن تدركه عنايةالله فيسعى جاهداً إلى مقابلة هذا الشيطان ومنازلته في ساحة نفسه .

والجاه في حياة الحركات جد خطير ....

وإن الحركات الاجتماعية التي تستعرض جاهها من مدخل الزهو به والركون إليه هي حركات قارونية .. أصابها الداء القاروني اللعين إذن « إنما أوتيته على علم عندي »

وأستشعر أحيانا في كتابات بعض قادة الحركات الشهيرة هذه القارونية المقززة والتي تصرفهم أن يتواضعوا مع غيرهم من العاملين في الجماعات الصغيرة والتي لم يبلغ جاهها بين الناس شأواً بعيداً ...

كنت أقرأ مع الأخ الكبير المستشار طارق البشري مقالاً لأحد القادة يتحدث فيه عن حركته وحركة الآخرين فعلق شيخنا طارق يقول : هذا القائد

يقول لأصحابه لا يلتفت منكم أحد لغير أصحاب الشعارات الإسلامية ، ويقول لأصحاب الجماعات الأخرى من غير حركته : اسجد واقترب .

شعور بالجاه يؤدي إلى الهلاك وندعو الله أن يبرأ منه صاحبه .

وأقارن ذلك بموقف حسن البنا ـ الإمام والقائد ـ عندما جاءه صديقه الأستاذ أحمد حسين (زعيم مصر الفتاة) مداعباً إياه بقوله : « إيه ياشيخ حسن ... ياسيدي أخذت كل الشعب المصري معك في جماعة الإخوان ولم تبق لنا أحداً ....»

فيجيب البنا العظيم : « إيه ياأستاذ أحمد .... أنسيت أني عضو معك في مصر الفتاة .. ومن ثم فكل من معي من الإخوان هم معك أيضا » .

إن إظهار القوة مطلوب في مواجهة أعداء الله المتربصين بك والذين يقاتلونك ويبغون فينا الفتنة .. ولكن لين الجانب على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة فرض عين على الجميع عندما يتعلق الأمر بقومك الذين تريد إصلاحهم وتربيتهم ....

وهذا النبي الأمي سيدي وسيد الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام يدخل مكة يوم الفتح ، ومعه الجاه كله .. نصر الله وفتحه ... ولكن رأسه تكاد تمس عنق بعيره .. كما تقول كتب السيرة ... تواضعاً لله عز وجل ، وإعطاء الفضل لصاحب الفضل .. رب العزة جل وعلا . ويقول أبوسفيان للعباس عم الرسول وهو يرى هذا المجد العظيم :

ياأبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً ، فيقول له العباس : إنها النبوة ياأباسفيان فيتمتم أبوسفيان : نعم إنها النبوة .

وفي العمل الحركي أعرف قوماً يحبون أن يعرف عنهم أنهم غارقون في الأعمال السرية الهامة ويستشعرون بذلك لذة وجاهاً كاذباً ، فإن كان ما يفعلون لا يحتاج إلى سرية جنحوا به إلى السرية . وما يزالون يفعلون ذلك حتى يوهموا الناس بما فيهم أجهزة الأمن أنهم يقومون بعمل جليل وخطير وسري ... وربما أدى حب هذا الجاه الوهمي إلى تتبعهم واعتقالهم وربما قتلهم .

ويظل دائماً المنهج القرآني هو الحق بالنسبة للأفراد والجماعات ممن حباهم الله بالجاه .

لا تفرح ...فإن الله لا يحب الفرحين .

وأن نبتغي فيما آتانا الله الدار الآخرة .

وألا ننسى نصيبنا من الدنيا .

وأن نحسن كما أحسن الله إلينا .

وألا نبغي الفساد في الأرض .

وبالنسبة للذين لم يؤتوا نصيبا من الجاه فليعلموا أنه :

«من كان يريد العزة فلله العزة جميعا»

ومخلب الجاه هذا تستخدمه القوى الدولية في توجيه كثير من صغار المسؤولين إلى وجهتها .

ففي كثير من شعوب العالم الثالث تصبح المسؤوليات العامة ومنها الوزارة عبئاً على أصحابها إن كانوا من الذين لا يمدون أيديهم إلى المال العام ... ولمثل هؤلاء يزين الهوى الاستعماري طريق المؤسسات الدولية ذات الرواتب الضخمة والجاه الدولي ليأووا إليها بعد رحيلهم من مواقعهم القوية .. ولذلك تعجب من سهولة استجابتهم لمثل هذه المؤسسات وهي تملي على الأمة شروطها وتضع عليها قيودها .

في أواخر السبعينيات زرت الصين الوطنية ، وطوفت في كثير من معاهدها العلمية الفنية ، وهالني هناك أنهم يطبعون الكتب العلمية العالمية دون إذن من المؤلف أو الناشر .. وقد فسروا ذلك بأنهم رفضوا كل المحاولات الدولية عن طريق اليونسكو ليدخلوا في اتفاقيات حقوق التأليف وكان دفاعهم بسيطاً : إن ثمن أي كتاب من هذه الكتب الغربية لا يقدر عليه الأساتذة فضلا عن الطلاب .. وهذا الغرب لا يرقب فينا إلا ولا ذمة .. يستعمر العالم ويسرق إمكانياته .. ثم يصنع مؤسسات ليحرمنا من حق الحياة ..

وتستطيع أن تناقش المنطق حينئذ ولكنك لا تقدر أن تفسر أنه في اجتماعات وزراء التعليم في عالمنا العربي التعيس وفي الفترة نفسها تقريباً لم يُتخذ قرار ذو بال إلا اشتراك جامعة الدول العربية ومن ورائها من شعوب مغلوبة على أمرها في اتفاقيات حماية حقوق التأليف .

وأيامها بحثت في منشوراتهم عن قرار آخر ذي بال فما وجدت إلا هذا القرار العجيب .. وكان أولى بهم وهم الضعفاء والمساكين ألا يدخلوا في مثل

هذه الاتفاقيات ، وأن يتركوا الغرب يطبع كتبنا ومنشوراتنا كما نفعل معهم معاملة بالمثل ..

ولكن قاتل الله الجاه الكاذب ، فمواقعنا القومية حبلى بهؤلاء الذين ينتظرون أن يفرغوا من هذه المواقع حتى تحملهم المؤسسات الدولية إلى مواقعها .

ومنهم من هلك . ومنهم من ينتظر . ولقد بدلوا تبديلا .

٤ ـ ٢ ـ التطفيف الاجتماعي

إن ظاهرة التطفيف في عالم الأعمال والقيم هي الامتداد الطبيعي للتطفيف في عالم الأشياء . والقرآن يقول : « ويل للمطففين » هؤلاء الذين يزنون بميزانين ويكيلون بمكيالين ، فإن اكتالوا على الناس يستوفون .. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ويعطي اللفظ القرآني « اكتالوا على » أنهم في الجانب القوي المسيطر ...

وفي عالم الأعمال والقيم نجد ظاهرة التطفيف الاجتماعي تسود علاقات كثير من البشر .. فهم إن تكلموا عن أعمال الغير وزنوها مقارنة بأعمال عمر أو أبي بكر ، وإذا وزنوا أعمالهم قارنوها بأعمال أبي جهل ... وهم إن وزنوا أنفسهم كجماعة أسرفوا في تقديس أنفسهم وإنجازاتهم وإن وزنوا جماعات أخرى بخسوهم حقهم ...

وفي كل مرة يزنون أو يكيلون فإنهم يخسرون ....

إن التطفيف الاجتماعي مرض خطير لا يمكن أن يصاحب الاستعلاء

النفسي . فنحن نستعلي بالحق على شهواتنا وعلى ملذاتنا وعلى أطماع أنفسنا . ولكن لا نستعلي بالباطل على أهلينا ...

وإن استعلاءنا بالحق على شهواتنا ومآرب الدنيا سوف ينير الطريق للناس إلى جوهر الرسالة التي صاغنا ربنا عليها .

٥ ـ التصديق بالحسنى

إنه ينبغي أن نصبر في معارك البناء مصدقين أن (**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**) (سورة يونس من الآية ٢٦) ومصدقين أن (**الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء**) (سورة البقرة من الآية ٢٦٨) إن هذا الإيمان بالحسنى هو زاد المؤمن الصابر في موقعه الذي لا يسعى إلى زيادة دخله في الدنيا بأي طريق .

إنه لو استقر هذا الإيمان في قلوب الناس ماالدفعوا إلى شركات توظيف الأموال دون أن يعلموا ماهي المشاريع التي ستعود على الأمة بالخير .

ولو استقر هذا الإيمان في قلوب الناس ما تركوا مواقعهم في أمتهم وذهبوا وراء نهر طالوت وقد أمروا ألا يشربوا منه إلا من اغترف غرفة بيده .

إن التصديق بالحسنى هو أحد عناصر مثلث حضاري رباني أضلاعه هي العطاء والتقوى والتصديق بالحسنى . هذا المثلث يؤدي لامحالة إلى اليسرى : (**فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى**) (سورة الليل الآية ٥ ، ٦ ، ٧) .

ما الذي يفرق إنساناً عن إنسان ؟ وما الذي يفرق مجتمعاً عن مجتمع في التفاعل الحضاري المثمر ؟

الإجابة هي في القدرة النفسية والاجتماعية على الدأب والإنابة- (**إن إبراهيم لحليم أواه منيب**) (سورة هود الآية :٧٥) إن خير الخاطئين التوابون .

وفي بناء النظم الحضارية تحتل قضية الفكر الأواب مركز الثقل ، فالاعتراف بالقصور الإنساني في معرفة دقائق النظم والمتغيرات المستقبلية أمر بالغ الأهمية ، ومن ثم فإن تصميم نظم حضارية كاملة أمر بالغ الصعوبة ، ولذلك ينبغي أن نتعرف على طرائق لقياس مخرجات أي نظام ومقارنة ذلك بالأهداف المرجوة من هذا النظام ثم استخدام طرائق لمحو الزيغ بين المرجو والأمر الواقع .

هذه الفكرة القرآنية الأصيلة غائبة تماماً عن حياتنا التنظيمية . كل نظمنا دائمة على عروشها المنهارة بأعمدة واهية من دستور بشري يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه ، وهي نظم لا يدلنا على موتها شيء حتى دابة الأرض التي تأكل أعمدتها ، وتدعها تعمل حتى الكارثة تلو الكارثة ولا نفيق .

أي أننا والعياذ بالله لا نفيق حتى بالكوارث ، وحتى إذا أفقنا على حجم الكارثة دبر لنا الاستعمار مجموعة من الحلول التي تزيد الكارثة وزينها لنا تزيينا ، فالتعليم المنهار والذي ينبغي أن نعيد النظر في كل أنظمته والتي بدأنا

نتنادى بإصلاحه فإذا نحن بالبعض يتنادى معنا وبذكاء شديد وباسم التكنولوجيا والإصلاح التكنولوجي محاولين لوي الدعوة الإصلاحية بعيداً عن الحل القاصد متوجهين إلى حلول لا تزيد منظومة التعليم إلا بواراً .

وأنظر إلى مصير بني إسرائيل عندما فسقوا واعتدوا في السبت ، فلقد انتقلوا من مرحلة لأخرى عبر سبعية اجتماعية ... انتقلوا من الفسوق إلى الإبتلاء إلى التذكير فالنسيان ثم العذاب وانتهوا إلى العتو فأصبتهم «القردنة» أو المسخ الكامل والإخفاء .

(واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون . وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون . فلما عتوا عن ما نهو عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) (سورة الأعراف الآيات من١٦٣ - ١٦٦)

لقد فسدت كل أدوات الإحساس الحضاري لديهم فلم يفيقوا بالابتلاء ولم يفيقوابالتذكير ولم يفيقوا بالعذاب .. فهل يجزون بعد ذلك إلا بالمسخ والفناء؟

٧ - ازدواج العلم والأمانة

قلنا من قبل أننا نحتاج إلى أن نشحذ الهمة الحضارية للأمة ، نشحذ همم

الناس لينطلقوا إلى أعمال يجيدونها مزودين بالأمانة والإخلاص .

ومن المصائب والكوارث التي أصابتنا أن ينطلق الناس إلى أعمال لا يجيدونها ويدفعون عنها من يجيدها وكل ذلك يتم في إطار وطني أو أخلاقي مزعوم . يذكرني ذلك بضابط أمن جزائري رافقني فترة عملي في الجزائر في أوائل السبعينيات وقد سألته مرة عن طبيعة عمله من قبل فقال : كنت عميداً لكلية الطب وأردف قائلاً : والله كانت تمشي كعقارب الساعة . انضباط تام .

إنه ينبغي أن نربي الناس على أن الذي يتولى عملاً وهناك من هو أجدر منه بهذه الولاية فهو آثم آثم آثم ..آثم في حق أمته ، وفي رأيي أن درجة إثمه هذه تصل إلى الكبائر الحضارية ، نعم الكبائر الحضارية التي تحتاج إلى فقهاء حضاريين لتعريفها بعد أن اختلط الإثم بالمعروف في علوم الحضارة .

وفي قصة يوسف عليه السلام (**قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم**) (سورة يوسف ـ آية ٥٥) وهنا لا إثم أن تطلب ولاية عمل تعرف تماماً أنك كفء له وأنه بدونك لن يتم وان حيادك عن طلب الولاية قد يؤدي إلى كوارث متلاحقات ، وموقف الصديق والفاروق خير شاهد على ذلك فيما تلى وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنظر رحمك الله إلى كلمة (إجعلني على) أي أعطني السلطة لنعلم أن في ميدان الأعمال الحضارية نحتاج إلى مثلث حضاري : السلطة والعلم والأمانة .

وتحضرني قصة رئيس وزراء إحدى الدول الذي كانت تحوم حوله الشكوك حول عمله لصالح دولة عدوة .. ورغم المراقبة الدقيقة فلم تكتشف أجهزة الدولة

عليه ما يدينه .فلما دنا أجله وأيقن من الموت سألوه : الشك فيك يصل إلى اليقين ورغم ذلك لم نستطع أن نحصي عليك شيئا ، فقال: إن العملية في غاية البساطة ، كُلِّفْتُ أنه كلما اخترت رجلاً لمهمة معينة ، اخترت أسوأ الرجال المحتملين لهذه الوظيفة إن هذا السلاح أفظع من أي حرب تشنها الدولة التي أعمل من أجلها على البلد

الفصل الثالث

مقدمات في التنمية الثقافية للأمة الاسلامية

تمهيد

كنا في معارك الصبا نجادل إخواننا العلمانيين حول الثقافة فنجنح بها إلى مزيد من الإغراق في التراث كرد فعل لإغراقهم مضامينهم الثقافية في الأبعاد الترويحية أو تقديسهم للوثنية التاريخية .

فلما اشتد العود الثقافي برحمة الله و تأيّنا عن معارك ردود الأفعال تبين أن دور الثقافة في الأمة طيف ذو سبعة عناصر : ـ

١ ـ فالأمة تحتاج أولا إلى ثقافة لتقوية النسيج الاجتماعي مرتكزة على البعد الإيماني و البعد المصلحي .

٢ ـ ثقافة تعين على تقبل المفاهيم التنموية .

٣ ـ وتحتاج الأمة لثقافة ترويحية تعين المؤمن المكدود على تحمل كدح الحياة .

٤ ـ كذلك تحتاج الأمة لثقافة لتبيان موقف الإسلام من قضايا الحياة .. إبتداء من الفرد ومروراً بالجماعة و الأمة .وإنتهاء بالكون .

٥ ـ وهي تحتاج كذلك إلى ثقافة لشحذ الفعالية الروحية عند الفرد حتى يصبح ذا همة حضارية و توجه إصلاحي .

٦ ـ وهي تحتاج أيضاً إلى ثقافة لتقوية المنهج العقلي الإسلامي عند المثقفين وصانعي القرار .

٧ ـ كما تحتاج إلى ثقافة لبيان التحدي الحضاري الذي يواجه الأمة وإسقاط ذلك على دور الفرد .

والحقيقة أن التخطيط الثقافي لهذا الطيف السباعي يمثل تحدياً عظيماً للتيارات الإصلاحية لا أحسب أنهم قد أعطوه حقه .. ناهيك عن الحكومات ووزراء ثقافتها ومخططاتهم الثقافية الهزيلة التي يصب معظمها في الترفيه والسياحة التاريخية . إن تخطيطاً ثقافياً محكماً يسرع بخطى الأمة نحو أهدافها العظيمة ، و يسهل مهمة القيادة الحكومية في الوصول إلى أي هدف تنموي مرجو .

وليست مهمتنا أن نضع المخطط كاملاً بكل تفاصيله ، فهذه مهمة الآف من رجال الفكر والثقافة ، و لكن حسبنا هنا أن نضع بعض العناصر الهامة لهذا المخطط ، ثم نطرح هذه العناصر على أهل الفكر والثقافة ليدلي كل بدلوه وتتفاعل الأفكار والمحاولات حتى تصل في النهاية إلى المخطط المرجو .

ولابد أن ندرك أن هناك مسافه زمنيه بين مخطط ثقافي للأمة وبين الترويج لهذا المخطط بين المثقفين والفنانين والأدباء والشعراء حتي تصبح أعمالهم الإبداعيه تحقيقاً لأهداف هذا المخطط الثقافي وترجمة ابداعية لمقاصده وأهدافه. هذه المسافة الزمنية تنقص أو تزيد بقدر ما نجد ونكد ولكنها تظل موجودة . ولن تتغير ثقافات الناس في يوم وليلة ولكن للأمر سننه التي فطر الله الناس عليها .

إننا نعيش اليوم مرحلة نجني فيها ثمرات مخطط ثقافي علماني أجنبي في شتى أقطار الإسلام . فمعظم الإبداع الفني هو تعبير عن ثقافة جاءتنا عن طريق مخططات سبق أن أشرفت عليها أجهزة علمانية سواء في عهد الاستعمار الظاهر أو فيما تلاه من عهود علمانية .

ولقد أخر ظهور إبداع فني ثقافي إسلامي إنشغال العمل الإسلامي بقضايا التحرير الوطني ، و تردد كثير من العاملين أمام استخدام بعض الوسائل الجديدة في التعبير الفني كالمسرح والسينما .

ولكن الأمر جد لا هزل فيه و ينبغي على الأمة أن تأخذ زمام المبادرة في أمر ثقافتها وأن تنطلق في تربية الكوادر الفنية اللازمة لإفراز المبدعين في كل المجالات الثقافية ، و أحسب أن هذا من التحديات التي تواجهنا كأمة و كتيار إسلامي جديد .

ماهية الثقافة

ولابد لنا في هذه المقدمات من أن نحدد ما هية الثقافة ، فالثقافة هي مجموع المواقف العقلية للإنسان من كل ما يحيط به من علاقات و أحداث ، فعلاقتك بالمرأة تحددها مجموعة من المواقف ، موقف نفسي و موقف عقلي وموقف عملي . الموقف العقلي يشكل ثقافتك عن المرأة ، وربما كان هذا الموقف يعتبر المرأة أمة تستعبد ، بينما تجسد كمية العاطفة و الوله و العشق عندك لإمرأة تهواها موقفاً نفسياً مغايراً لما يفرضه موقفك العقلي أو ثقافتك ... وربما كان موقفك العملي مغايراً لموقفك العقلي وموقفك النفسي .

بعض الناس يعرف الثقافة على أنها مجموع كل المواقف العقلية و النفسية والعملية للإنسان ، و لقد رأينا أن نعرف الثقافة على أنها المواقف العقلية للإنسان من كل ما يحيط به من علاقات و أحداث فإن أصر القارىء على التعريف المخالف فعليه أن يترجم كلمة الثقافة في هذه الورقة على أنها الجزء العقلي من الثقافة .

وكلما بعدت ثقافتك عن الفطرة كلما زاد الصراع و التمزق بين مواقفك لعقلية و النفسية و العملية . فالرجل الذي يؤمن بالزواج من واحدة وهو في سعة نفسية مع زوجة ترضيه سرعان ما تصطدم ثقافته الموحدة في الزواج مع ميله النفسي إلى إمرأة أخرى ، و من العجيب أنك تجد الإنسان الغربي الذي يجادلك و يكثر من المجادلة وهو يحدثك عن تعدد الزوجات في الدين الإسلامي ، هو أكثر الناس في العالم تعددية في الزواج ، حيث يحتفظ أمام القانون بزوجة و احدة بينما يعدد بأكثر من أربع من وراء ستار و بغير ضوابط و ضمانات تحفظ الحقوق و تقيم الواجبات .

و الحقيقة أن هذا الإنسان قلل من حدة الصراع بين عالمه العقلي ممثلاً في ثقافته و بين عالمه النفسي بإضافات خفية أضافها إلى ثقافته . فالمسيحية وما تمثل من قيم وأفكار لم تعد هي المصدر الأساسي لثقافته ، وإنما أضاف إليها عالماً جديداً من الأفكار أزاحت المسيحية إلى ركن قصي من عقله ، و تربعت هي تمسك بمقوده . و احتفظ لنفسه بنوع هش من السلام الداخلي .

و نؤكد أن السلام الذي يتبنى على التناغم الكامل بين عالم النفس و عالم العقل وعالم الفعل هو السلام المستقر البناء .

فيستطيع إنسان أن يبني عالم غيب [1] لثقافته لا يتناغم مع الفطرة التي فطر الله النفس البشرية عليها و أن تحيط به ظروف خارجية و نفسية تمزقه بين عوالم نفسه و عقله و فعله .

ومن هنا يأتي دور الوحي الذي يحدد غاية عظمى للوجود الإنساني ....إليها تصعد كل الغايات الصغيرة للإنسان و تنتهي عندها .

و يحدد قيماً عملية في الحياة لا تصطدم بالعقل ولا تقهر النفس و هي قابلة للتجسد في حركة الناس ، ثم يقيم الحجة على الناس بأن يبعث لهم من أنفسهم بشراً تتمثل فيهم هذه القيم غاية التمثل .

و عندما نتحدث عن الثقافة أو عالم الغيب العقلي للإنسان إنما نتحدث عن خريطة المواقف العقلية من كل ما يحيط من علاقات و أحداث ، ولا نتحدث عن هذا الركام الضخم من المعلومات المتناثرة التي تزدحم بها وسائل الإعلام و تلح بها على عقل الإنسان حتى تفقده الوجهة و السبيل ، وتدعه حائراً أمام كل موقف ، ذاهلاً أمام كل حدث .

---

(١) سيجدني القارئ استخدم مصطلح «عالم الغيب» كثيراً في ثنايا كتاباتي المتعددة . ولقد وجدت ضياباً حول المصطلح عند مجموعة من إخواني المفكرين رأيت معه أهمية تحديد ما أعني بهذا المصطلح . «الغيب» في العقيدة الإسلامية معروف ومحدد وهو الأساس والجوهر للدين كله . ولكن تنشأ عن هذا «الغيب» والإيمان به مجموعة من البديهيات تكون معه ما أسميته «عالم الغيب» أي الغيب وما ينشأ عنه من بديهيات ، هذه البديهيات هي في الواقع القيم العليا في التفكير الإسلامي . فأن تعتقد بحرمة الربا والاحتكار وأن تؤمن بأن للناس حياة في القصاص إلى غير ذلك من القيم في الواقع عناصر في عالم الغيب . ولقد حاولت أن أضع تصوراً لعالم الغيب في عناصرها الأساسية في كتابي مقدمات البعث الحضاري .

إننا لسنا في حاجة إلى إنسان متورم بكم هائل من المعلومات لا يستطيع أن يفعل بها شيئاً في أي موقف عملي . و إن وسائلنا التربوية الثقافية ينبغي أن تركز على تزويده بالقوانين الأساسية و المعلومات الأولية و القدرة على الرجوع إلى المعلومات في مراجعها من غير أن ينوء بحملها في طبقات عقله المكدود .

إن هناك فرقاً هائلاً بين التورم الثقافي و بين البصيرة العقلية الحديدية التي حُد فيها بصر الإنسان العقلي بما يحمل من عالم ثقافي شديد الوضوح إزاء كل العلاقات و الأحداث .

إننا لسنا في حاجة إلى حمار يحمل فوق ظهره أسفاراً ، و إنما نحن في حاجة إلى معرفة نافعة و علم نافع .

إننا من أبناء حضارة تدعو ربها :« اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع » . وأحسب أن من المهام العلمية التي ينبغي أن ينفر إليها نفر من علمائنا مهمة غربلة التراث و تركيزه أشد التركيز في صحيفة تراثية واضحة المعالم [1] ، فلا

---

(١) وقد دعى الإمام الشهيد حسن البنا إلى هذا الأمر منذ أكثر من خمسين عاماً ، ووجه نداءً إلى علماء المسلمين « أن يألفوا لجاناً فنية لتهذيب الكتب الإسلامية القديمة ، وتصنيف كتب جديدة تفي بحاجة العصر الجديد» ولكن الملاحظ للأسف ـ أن الاستجابة لهذا النداء الحضاري لا تزال دون المستوى المرجو فأغلب الجهود مركزة على تحقيق وإعادة طبع كتب التراث دون إعمال فضيلة النقد فيها ، أو حتى محاولة ترتيبها ترتيبا جديداً وتقريب فوائدها من جمهور القراء والمثقفين .

ودعوة الشيخ البنا إنما كانت لتيسير التراث الخاصة أما العامة ونقصد بهم غير المتخصصين في العلوم الإسلامية فيكفيهم أن نحمل إليهم عصارات التراث مركزة في مبادئ وأمثلة عملية حتى لايشقى طول حياته بحمل هذا التراث الضخم الذي لايقوى على حمله أشد الرجال .

يمكن أن تنطلق أمة من هذا التراث المتراكم بعضه فوق بعض إلا بعملية غربلة و تركيز . ونحن معاشر الإسلاميين نبدأ مسيرتنا في الحركة من خلال بناء مكتبة تراثية هائلة لكل منا ، و المطابع تطبع ، و الناشرون ينشرون ، ونحن لا نقرأ ، و إذا قرأنا فلا نستفيد بما نقرأ ؛ فمن الذي يقرأ كل هذا التراث الذي يمثل فترات تاريخية متباعدة و متباينة و يبدو في ظاهره أن بعضه ينسخ البعض الآخر .و لذلك ، و حتى تتم عمليات الغربلة و التركيز ينبغي أن يتوجه الشباب إلى القرآن بصفة أساسية ثم إلى الحديث الذي لا خلاف عليه ، ثم ينظرون بعد ذلك في بعض كتب الأثر يعرضونها على الأصل في غير حسم عقلي قد يضبب أبصارهم .

و فيما يلي من صفحات سأعرض بإيجاز الهيكل الداخلي للثقافة المرجوة للأمة و قد حددته في طيف سباعي .

تفصيلات لأطياف المخطط الثقافي السبعة

١ - في مجال التخطيط الثقافي لتقوية النسيج الاجتماعي ينبغي النظر في بضعة أمور :-

- أولا ينبغي أن تدرس بدقة كل الخيوط التي تكون نسيج الأمة سواء كانت خيوطاً عرقية أو طائفية أو اقتصادية أو ثقافية ، و يدرس أيضا مدى الاختلاف و الوحدة بين كل هذه الخيوط و هل هناك تباين حقيقي يمثل مشكلة أم أن التباين شكلي . خاصة و أن كثيراً من الاختلاف يبنى على أوهام قد تكون سائدة بين الجهلة و يمكن تجاوزها بالتثقيف .

ـ ثم لابد من توهين الصراع التاريخي ما أمكن بإلقاء الضوء على وهن الروايات التاريخية و ضعف و سائل التأريخ في القديم و الحديث .

وكذلك لابد من تعميق الفهم لعناصر التحدي الحضاري في الحاضر والمستقبل حتى يستشعر الفرقاء أهمية التوحد في العمل الحضاري المشترك والتبصر بمداخل الشيطان لإيجاد الفرقة و توهين النسيج الاجتماعي (سواء كان هذا الشيطان داخلياً أو خارجياً)

ولابد أيضاً من تقوية الجوانب الأخلاقية التي تقوي النسيج الاجتماعي مثل السماحة و الإيثار و البذل و كظم الغيظ و العفو عند المقدرة .

٢- في مجال التخطيط لثقافة تعين على تقبل المفاهيم التنموية والتي تستدعي عند الفرد موقفاً من عمليات الإشباع ينبغي أن تركز على بضعة أمور منها: ـ

ـ أن هناك أنواعا من التنمية تختلف في أهدافها ووسائلها عن التنمية في المفاهيم الغربية ، وأنه ليس علينا من حرج أن نحدد تنمية قاصدة تتناسب مع عقيدتنا و ظروفنا و أن تكون هذه التنمية مختلفة عن التنمية الغربية شكلا وموضوعاً . وأن التنمية التي يفرضها الغرب على حكوماتنا تزيد من تخلفنا وتبعيتنا له ، وليس مقصوداً بها الانعتاق من التخلف أو الانعتاق من الاستعمار بل مقصود بها زيادة التخلف وإحكام القبضة الاستعمارية .

ـ أن إعمار الأرض فرض على المجموع ، والإعمار بأيدينا لا بأيدي الغير .

ـ أن الانتشار في الأرض فضيلة إسلامية، و الاكتظاظ مكروه لما يؤدي إليه من مكاره.

ـ لابد أن ندرك أن التهيىء لعمل من الأعمال التنموية يستدعي تدريبا وتعليما .. فالتنمية ليست بالأماني و إنما بالتدريب و التعليم .

ولابد أن ندرك أن البيئة خلق من خلق الله نتعامل معها بإحسان .

٣ـ ثقافة ترويحية تعين المؤمن المكدود في دروب الحياة .

هذه الثقافة الترويحية ينبغي أن تركز على الأمور الآتيـة :

ـ الإيمان بأن الإنسان في هذه الحياة الدنيا في اختبار دائم إما بالنعم أو بالحاجة وضيق الرزق ، هذا الإيمان من شأنه أن يحرر الإنسان من الهم القاتل أو الفرح المفضي إلى التهلكة، و يحرره كذلك من هم التكاثر الذي سوف يفضي به إلى الجحيم في الدنيا والجحيم في الأخرة (**لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين**) (سورة التكاثر) . ويقول حجة الإسلام الإمام الغزالي في رسالة : منهاج العارفين « إن الخلق بين فتن و محن ؛ إما مبتلى بالنعمة ليظهر شكـره وإما مبتـلى بالشـدة ليظهر صبره » ، قال تعالى : (**فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه و نعمه فيقول ربي أكرمن . وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن . كلا بل لا تكرمون اليتيم . ولاتحاضون على طعـام المسكين**) (سورة الفجر :الآيات ١٥ـ١٨)

ـ الإحساس بالجمال عن طريق تشجيع الإنسان على التدبر و التأمل فيما حوله من جمال طبيعي أخاذ (**ولكـم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون**) (سورة النحل : الآية ٦) .

ـ الاستغراق النفسي و الروحي بالعبادة (أرحنا بها يابلال).

ـ الرياضة الجماعية و السمر الجماعي في تنافس صحي.

ـ سائر الفنون كوسائل للتعبير عن محاكاة للواقع و تمثل له بحيث يستغرق الإنسان في تجربة وهمية لكن واقعية . لعلنا نورد نصاً لابن حزم في قضية الغناء نستدل به على أن كل فن ينوي به العبد أن يذهب به عن نفسه السأم والكلالة و الملل لينشط في عمارة الأرض هو فن حلال ما دام يؤدي وظيفته في تنشيط الإنسان من غير معصية و ما دام صاحبه لا يعتبره شعيرة من شعائر الدين يلزم بها نفسه أو يلزم بها غيره .

يقول الإمام ابن حزم في رده على الذين يفسرون (**ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم و يتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين**) (سورة لقمان الآية ٦) بأن المراد من اللهو هو الغناء ، يقول (إن نص الآية يبطل احتجاجهم بها لأن هذه الصفة من فعلها كـان كافراً لا خلاف ،إذا اتخذ سبيل الله تعالى هزواً . ولو أن امرءاً اشترى مصحفاً ليضل به عن سبيل الله ويتخذها هزواً لكان كافراً ، فهذا هو لهو الحديث ليتلهى به ويروح نفسه ، لا ليضل عن سبيل الله تعالى . وكذلك من اشتغل عامداً عن الصلاة بقراءة القرآن أو بقراءة السنن أو بحديث يتحدث به

أو ينظر في ماله أويغناء أو بغير ذلك فهو فاسق عاص لله تعالى . ومن لم يضع شيئاً من الفرائض اشتغالاً بما ذكرنا فهو محسن) و أحيل القارىء إلى كتاب (الإسلام والفنون الجميلة) للأخ الدكتور محمد عمارة ففيه شفاء هذه المسألة .

ـ السير في الأرض ورؤية الآثار للأمم الغابرة .

ـ تشجيع الآداب من قصة و شعر ونوادر .

٤ ـ ثقافة لتبيان موقف الإسلام من قضايا الحياة إبتداءً من الفرد مروراً بالجماعة والأمة .. وإنتهاءً بالكون.

إن توحيدالنظر في هذا النوع من الثقافة بحيث تتوحد توجهات الناس في مجموعها في وجهة واحدة مع اعترافنا بالاختلافات الضرورية التي تقع بين الأفراد و الجماعات من الأمور الهامة و الأهداف العظيمة لأي مخطط ثقافي . ويشتمل هذا النوع من الثقافة على مجموعة من العناصر نلخصها فيما يلي:

(أ) الإنسان والأمانة الربانية التي عرضت عليه و استخلافه في الأرض ودوره في الحياة . أما الأمانة فكأنها كل ما وهبه الله للإنسان من إمكانيات جسدية و عقلية وروحية و من بيئة محيطة بما تزخر من موارد مكنونة وظاهرة وفوق ذلك ما وهبه من حرية في الاختيار .

هذه الأمانة الثقيلة ينبغي أن تستعمل خير استعمال والإنسان معان في هذا الاستعمال بالرسالات المنزلة التي تذكره بالفطرة التي فطر الله الناس عليها و تذكره كذلك أنه مستخلف فيما بين يديه يستخدمه بإحسان فهو ليس

صاحب المال أو العقار و لكنه مستخلف فيه و هو في النهاية مطالب أن يعبد الله بإعمار نفسه و إعمار كونه .. ثم إن إلى ربك المنتهى .

(ب) حياة الإنسان جزء من رحلته الكونية التي لا يعلم أمادها و آفاقها إلا رب العباد جل و علا . ولقد أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، ثم خلقه ربه و جعل حياته ابتلاءً أيشكر أم يكفر ، ثم علمته رسائل السماء ـ وحي الفطرة السليمة ـ أن هذه الحياة الدنيا هي جزء من الرحلة وأن أمامه آخرة يثاب فيها أو يعاقب ويدخل فيها جنة أو ناراً .

والإيمان بالآخرة هو جوهر هذا الدين ، (**و إن تعجب فعجبٌ قولهم أءذا كنا ترابا أءنا لفي خلقٍ جديدٍ أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**) (سورة الرعد الآية ٥) فالكفر بالآخرة يورث الكفر بالله ويدفع الإنسان لعبودية الشهوات التي تضع كل يوم في رقبته غلاً جديداً وتنتهي حياته و قد كسب من السيئات ما يورده جهنم في الآخرة . ومن هنا فإن تعميق الإيمان بالآخرة هو مفتاح التدين .

(جـ) النساء شقائق الرجال .. ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة . (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون**) (سورة الروم الآية : ٢١) . فالخلية الإنسانية الأولى تتكون من رجل و امرأة وهما كائنان متمايزان في الطبيعة و الوظيفة . هذا التمايز هو

الذي يحدث قوى الجذب اللازمة لتماسك الخلية . حتى في أبسط قضية كقضية الجنس ، لابد أن يبدو الرجل قوياً متيناً و تبدو الأنثى خاضعة حانية ولو انقلبت الآية وأصبح الرجل خاضعاً حانياً و أصبحت المرأة قوية متينة لتنافر الزوجان وانفكت الخلية . والإسلام في تشريعه كله يسعى لزيادة قوة التماسك في الخلية و ما يتشعب عنها من خلايا ملتصقة بها بدءاً بإشارات الإسلام حول العمل و الميراث و إيتاء ذوي القربى والعلاقة بين الأبـــاء والأبناء والأزواج ، ويمايز في الطبـائع والوظائف من أجل مزيد من التماسك و الترابط . ولعل هذا المدخل الفكري الذي نطرحه جدير بأن يدفع بكثير من الباحثين إلى فهم روح التشريع الإسلامي في الأسرة كتشريع يؤازر زيادة التماسك في الخلية من خلال تمايز الطبائع و الوظائف .

(د) تكوين الجماعات و القبائل و الشعوب من سنن الله في تقوية النسيج الاجتماعي و أداة من أدوات العناية الإلهية في تكوين الأجنة الاجتماعية . ولابد أن نسجل أن عالمية الرسالة الإسلامية لاتتعارض مطلقاً مع فكرة تكوين الجماعات و القبائل و الشعوب ، نحن هنا نتحدث عن آلية قوى التماسك بين الناس التي تبدأ بخلية هي الأسرة فالجماعة ثم القبيلة ثم الشعب . فكما أن الله تبارك و تعالى يأمرنا أن نبر آباءنا و نخفض لهما جناح الذل من الرحمة ونرعاهما كما ربيانا صغاراً و لم يأمرنا بنفس البر بالنسبة لآباء الجيران ، كذلك فإن الجماعة الحاضنة لنا والقبيلة الحاضنة الجماعة و الشعب الحاضن للقبيلة كلها تملك حقوق البر بها علينا . أما العلاقات داخل هذه المجموعات المختلفة فتقوم على شرائع الإسلام القائمة بالقسط بين كل البشر .

(هـ) مفهوم الأمة كوعاء تصب فيه جهود الجماعات و القبائل و الشعوب . والأمة ليست وعاءً جغرافياً وإنما هي وعاء إنساني يقوم على التوحيد الخالص لله رب العالمين ، فكل مؤمن نأت به الديار أو قربت هو عضو عزيز في هذه الأمة . كما أن الجماعات والقبائل و الشعوب لابد أن تستهدف في سعيها كياناً حضارياً تواجه به الكيانات الشيطانية القائمة هنا وهناك . فالشيطان وجنوده يسعون في الأرض الفساد .. هذه حقيقة التاريخ والواقع ومن ثم فسعي كل الكيانات المؤمنة للتوحد بصورة أو بأخرى أمر تمليه ضرورة الدفاع عن الحق والمجاهدة لإقامته على وجه الأرض[1].

(و) الكون من حولنا عوالم صديقة .. تسبح بحمد الله وتكبر .. ولاتتعامل معها إلا بإحسان .

القرآن الكريم يتحدث دائماً عن العوالم المحيطة بنا بأنها أمم أمثالنا تسبح بحمد الله و لكننا لا نفقه تسبيحهم ، ونحن نقرأ دائماً في كل صلاة : الحمد لله رب العالمين أي رب كل العوالم في الكون و الذي نحن مجرد عالم من عوالمه.

فعندما يفطن المؤمن إلى هذه الحقيقة الكونية تتأكد عنده نظرة حانية عن الكون و البيئة فلا يتحدث مثل كثير من الغربيين عن قهر الطبيعة ولكن

---

(١) راجع في هذا الكتاب فصل : الدولة الإسلامية ضرورة حضارية

يتحدث دائما عن التناغم و الاستعمال القاصد لهذه البيئة المحيطة [1] . قال تعالى : (**وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون**) (سورة الأنعام الآية : ٣٨)

(ز) الاستمتاع بالطيبات مع فهم إسلامي لما هو الاستمتاع ومافي الطيبات قال تعالى (**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون**) (سورة الأعراف الآية ٣٢)

إن زينة الله تحيط بنا في هذا الكون الجميل . سواء أوعلنا اتساعاً فيما حولنا من نجوم وكواكب أو تضائلنا - بأجهزتنا الدقيقة وراء الإبداع الإلهي في عوالم الذرة ، فلسوف نرى أشعة الجمال والكمال تتهادى في بصائرنا تزيدها طمأنينة و إيماناً . هذه الزينة نتمتع بها دارسين و متأملين ومستلقين في رحابها لنتخفف من آلام النصب اليومي الرهيب . أذكر أنني التقيت برجل إنجليزي عاش في منطقة قناة السويس بمصر أيام الإحتلال الإنجليزي وسألته ما الذي يذكره من مصر .. قال السماء ونجومها ..إننا في انجلترا لا

(١) انظر تفسير الفاتحة «في ظلال القرآن» للشهيد سيد قطب .

نكاد نرى السماء من شدة الغيوم ، أما في منطقة القناة فكنت أتمتع كل ليلة وأنا أجلس ساعات متصلة مستغرقاً في الزينة الإلهية التي تأخذ بالأبصار .

هذه هي الزينة الطبيعية التي تؤدي عملها في النفس البشرية فتزيدها هدوءاً ، أما الزينة التي تنفق عليها الأموال طاقة وجهداً و تلويثاً للبيئة لنجعلها أساور وعقوداً فهي زينة لا تملأ النفس طمأنينة وهدوءاً وإنما هي زينة للتفاخر و التباهي و لفت الأنظار ، وهي وإن كانت غير محرمة إلا أن القرآن يصفها بأنها زبد يذهب جفاءً .

و الطيبات هي كل ما أحل للمؤمن من الشهوات و الأطعمة و المسكن والملبس و غيرها ، والمؤمن يتمتع بها كلها تعبداً لله و شكراً لنعمائه في قصد واقتصاد ، ولا أعتقد أن ديناً غير الإسلام يفتتح كل نشاط من أنشطة الإنسان سواء كان طعاماً أوجنساً أوقضاء حاجة بفتتح ذلك كله بدعاء مأثور يذكر المؤمن دوماً أنه في عبادة دائمة ، حتى وهو يتمتع بالشهوة الغالية في جماعه مع زوجته .

٥- ثقافة لشحذ الفعالية الروحية عند الفرد حتى يصبح ذا همة حضارية وتوجه إصلاحي.

يلعب هذا النوع من الثقافة دوراً هاماً في بعث الهمم عند الأفراد وتوجيه هذه الهمة في توجهات إصلاحية . ولأن الفرد هو البنية الأساسية التي يقوم عليها أي عمران فإن هذا النوع من الثقافة يصبح تأسيسيا للغاية ، ولعلنا نلخص بعض عناصر هذا النوع من الثقافة فيما يلي :

(أ) امتزاج العمران المادي و العمران الروحي في الإسلام

يحدثنا الحق جل وعلا (**أتبنون بكل ريع آية تعبثون و تتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين**) (سورة الشعراء الآية :١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠) ليؤكد لنا أهمية التحقق من الغاية في كل بناء نبنيه وفي كل صناعة نصنعها . أي أننا أمام تحقق دائم من نياتنا في كل عمل نعمله ، فإنما الأعمال بالنيات . والنية هي خلاصة التدين و الغاية منه . والأصل أن يتوجه الإنسان بنيته في كل عمل يعمله إلى الله تبارك وتعالى ويتأكد من هذا ماوسعه جهده . فنحن نقرأ في الأثر أن كل عمل يعمله الإنسان ولا ينوي به وجه الله هو عمل سوف يورده إلى النار ، فالعالم الذي تعلم وعلم ليقال أنه عالم ، والثري الذي أنفق ليقال أنه محسن إلى غير ذلك من الأعمال كلهم لن تحسب لهم أعمالهم .

ولتتحدد النية و تتسق مع أهداف الدين لابد من عمران النفس قبل عمران الدنيا ، أو قل لابد من امتزاج العمران المادي و العمران الروحي. العمران الروحي يعطي الحكمة للعمران المادي حتي لا يصبح عبثاً في الأرض ويوجهه إلى خير الجماعة الإنسانية كلها لا إلى فريق من البشر غاياتهم عبثية يريدون خلوداً في الأرض و بطشاً جباراً بالمستضعفين ..

(ب) «الماعون» هو جوهر التعامل الإسلامي .

(**أرأيت الذي يكذب بالدين ، فذلك الذي يدع اليتيم ، و لا**

يحض على طعام المسكين ، فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ، ويمنعون الماعون) (سورة الماعون)

في هذه السورة و في سور غيرها كثيرة نرى قضية التكافل الاجتماعي وبذل الماعون تكوِّن حجر الأساس في التعامل الإسلامي بين الناس . فالمسلم الذي يمنع الماعون رغم مظاهر التدين التي تصبح في هذه الحالة رياء هو مسلم ينذره ربه بالويل و ليصدق هذا المسلم بجوهر الدين لابد أن يرفق بالضعفاء و على رأسهم اليتامى ، ثم يحض الآخرين على إطعام المساكين . وعملية الحض هذه يمكن أن تتطور آلياتها حتى تصبح مثلاً جماعات تنموية تأخذ بأيدي المساكين و تعلمهم وسائل تنموية لإنتاج طعامهم .

(جـ) الإيثار و البذل و التضحية والتأهب الدائم لأي مهمة للجماعة .

(د) التواصي بالصبر و الحلم وكظم الغيظ والتراحم أخلاق معينة على المهمة الحضارية .

(هـ) خريطة المهام وأولويات عناصرها ووضوح ذلك في عقل المسلم .

ينبغي على المسلم أن يرتب أولوياته : ماذا يفعل اليوم وماذا يفعل غدا ؟ وفيما ينشغل فكره اليوم وفيما يؤجل لغد ؟ فمثلاً هل أطالب حكومة علمانية بتطبيق الشريعة أم أطالبها بالشورى أو حتى بالديمقراطية الغربية و التي تتيح أن أقوم على مهمتي التربوية و التنموية من غير تعويق ؟...

وهل أطالب شباب جماعات الإصلاح الإسلامي أن يصرفوا الوقت والجهد فيما يسميه البعض أسلمة المعرفة أم أجدي من هذا أن يتركز الجهد في رفع القيد السياسي حتى تندفع هذه الجماعات في التركيز على تربية الأجيال الجديدة على الإتصال بالقرآن الكريم إتصالاً وثيقاً من خلال برامج متعددة لخدمة القرآن .

وهل أجدى أن تندفع جماعات إلى رفع شعار الإسلام على مؤسسات تنموية مثل البنوك من غير أن تتبلور نظرية تنموية وبرامج تنموية تنبثق من الإسلام وتتكون كوادر بشرية تشرب هذه النظرية وتلك البرامج . أن هذا الإسراع برفع شعارات الإسلام على مثل هذه المؤسسات قد يورثنا الحسرة عندما نكتشف أن هذه المؤسسات لا تملك من الإسلام إلا شعاراً وضعوه على لافته ..

وهكذا في كل شيء ينبغي على المسلم أو الجماعات الإصلاحية أن تسأل نفسها دائما : ماهي خريطة المهام وماهي أولويات عناصرها ؟

(و) وجود ضوابط للهمة الحضارية حتى لا تذهب في حرائق داخلية والتأكد من إنفاقها فيما ينفع الناس .

فإنه لابد أن توجه الهمم إلى الصالح من الأعمال ، ولا توجه إلى حرائق داخلية تفسد الحرث والنسل . وفي كثير من الأحيان تخطيء الحركات الإصلاحيةبزيادة الجرعة السياسية للناس فينقلبون إلى سياسيين بلا إمكانيات في المعلومات أو في الإصلاح . وتذهب إلى قريتك في أعماق الريف فتجد معارك وهمية في ميادين السياسة بين الناس بينما أمامهم أعمال تنموية في

الحقول والمصانع لا يتقدمون لها . ولقد زاد من المصيبة بطالة التعليم العام الذي أضحى خريجوه هم أبطال السياسة في القرى و النجوع بينما أراضيهم وقراهم تنتظر منهم جهوداً للتنمية فلا يعطونها .

وأزعم أيضا أن توجيه الهمة إلى معارك خاطئة ليس كله نتيجة الغفلة وإنما يحدث في كثير من الأحيان بتصميم ومكر استعماري . منذ أن عدت للقاهرة وأنا لا أري إلا منظراً واحداً تكرره الإذاعات و الصحف : جماعات الشباب المسلم تجري والأمن يجري وراءها . أي مهمة هذه في خريطة المهام ؟ وهل الإيقاع بهذه الجماعات في مصيدة التطرف عمل تلقائي من قبل هذه الجماعات أم أن هناك شيطاناً يحيك في الظلام مؤامرة خبيثة . وكل هذه الهمة التي تبدد في القرار من الأمن بعد أن تركب أعمالاً لا تقدم ولا تؤخر أليس من الممكن أن توجه وجهة تنموية تفيد الأمة . وفي قضية أفغانستان رأيت آلافاً يركبون الطائرات إلى باكستان للإشتراك في معارك مع الثوار . يريدون أن ينالوا شرف الجهاد .. ورغم ظني أن جزءاً لا بأس به من هؤلاء يركب الطائرات بأموال استخباراتية ، إلا أن الجزء الأخير المجاهد كان يمكن لو بقي في بلده و أرسل لإخوانه المجاهدين نصف ما أنفقه في هذا الجهاد السياحي المكيف واستبقى نصفه ينفقه في تنمية قريته لكان ذلك خيراً للجميع .

(ز) ضبط الهمة مع القدرات الذاتية و تحجيم الآمال مع القدرات حتى لاتصاب الأمة بالإحباط عندما تحول القدرات المحدودة دون الوصول إلى الآمال الكبيرة .

والإسلام يعلمنا في ذلك دروساً بالغة . فالمسلمون الضعفاء في مكة يقال

لهم (**كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة ...**) (سورة النساء من الآية :٧٧) .

وعندما قويت الشوكة وأصبحوا قادرين على مواجهة قوى الشرك قيل لهم (**ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين**) (سورة التوبة :١٢٣) .

وكثيراً ما تلتقي في بلادنا ببضعة من الصبية لا يكادون يحسنون شيئا يحدثونك عن معارك هم لها خائضون ، وتستغرب من هذه الجرأة و التهور الذي ينتهي دائما بالفشل و الإحباط . إننا نضع في كثير من الأحيان أهدافاً إصلاحية أكبر بكثير من حجم طاقتنا و بالطبع لا نستطيع لها إنجازاً فنظل نلوم الدهر وتتحول الطاقة إلى قوة تبعثر وإحباط . والذي نؤكده في هذه الجزئية أنه ينبغي أن نحلل الأهداف الضخمة إلى مخطط عمل يبدأ بهدف صغير الآن يناسب إمكانياتي الذاتية و أقدر أن أفعل فيه شيئا . نعم المؤمن الحق يساوي في ميادين الجهاد بأدوات عصر الرسول عشرة من المشركين ، ولكن علم الله أن في هؤلاء المؤمنين ضعفاء ، فخفف من حدة المواجهة والتحدي ، فأصبح كل مؤمن يواجه اثنين . والمهم أن الإشارة القرآنية إلى هذا المفهوم الخطير يجدر بنا أن نعيها تماماً .

وبأدوات هذا العصر ، يستطيع رجل واحد أن يقتل مليوناً من البشر إذ يلقي عليهم قنبلة ذرية . هل نقول هنا أن واحداً بمليون . لا ولكن نقول أن الذي يركب الطائرة ليلقي القنبلة ليس وحده في المعركة ، ولكن وراءه أمة من المقاتلين في المعامل و المصانع و الجامعات . إنها حرب علمية من الألف إلى

الياء ، ومطلوب منا أن نجاهد ليل نهار من أجل أن نمتلك التقنية اللازمة لحياتنا ودفاعنا . فإذا وجدت قوماً يمتلكون الهمة النضالية ثم يبخلون في معركة يعلمون يقينا أن ما يمتلكونه من عتاد لا يقف أمام ماعند العدو ... هؤلاء القوم آثمون ... إنهم ينتحرون . و خيرلهم أن يرصدوا هذه الهمة في الإعداد ليوم آخر يكونون فيه أكفاء لأعدائهم .

٦- ثقافة لتقوية المنهج العلمي الإسلامي عند المثقفين و صانعي القرار :

إن تربية الأجيال المسلمة على المنهج العلمي الإسلامي يحتاج إلى برنامج ثقافي مصاحب يعين على التدريب على المنهج حتى يصبح ملكة عند المثقفين وصانعي القرار . ولقد أفلحت نظم التعلم في الغرب على تربية الناس على طرائق للتفكير أكثر قرباً مما نبتغيه من تربية إسلامية من كثير من طرائقنا التربوية في بلاد المسلمين . وأحسب أن القرآن والسنة المطهرة تحتويان على أسس كاملة لمنهج في النظر والتفكير نحن في حاجة إلى إستخراجه وفهمه والتدرب عليه حتى يصبح ملكة متسابة في كل تفكيرنا وهذه بعض العناصر للثقافة المرجوة :

- التأكيد على أهمية التأكد من الجوانب الغيبية في المنظومة الإسلامية كما جاءت في القرآن .

- أدوات البرهان هي العقل و الحواس والفؤاد : ﴿ ولا تقف مالیس لك

به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)

(سورة الإسراء الآية ٣٦) والفؤاد هنا يشتمل على العقل و الوجدان .

- في ميدان التجارب الاجتماعية ينبغي دائما الحرص على التأكد من القيم الإسلامية الحاكمة مثل (**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون**) (سورة البقرة الآية : ١٧٩) ومثل تحريم الربا والاحتكار .. فمثل هذه القيم جزء لا يتجزأ من عالم الغيب الإسلامي و ينبغي أن لا نخضعها للتجارب .. خاصة أن آثار غيابها لا يظهر في جيل أو جيلين .

- لا قداسة للنظم التي بناها المسلمون من قبلنا إنطلاقاً من عقائد الإسلام و قيمه في ظل ظروفهم التاريخية ... ونحن ننظر فيها للعبرة والتأسي إن توافقت كل الظروف الخاصة بنا مع ظرف تاريخي سابق. فالعصر قد استحدث طرائق أكثر رشداً في المؤسسات التعليمية والمؤسسات الشورية والمؤسسات الاقتصادية والمؤسسات الأمنية . وهي كلها تمتلك نظماً حديثة فعالة يمكن توجيهها للأهداف العليا الإسلامية من غير اضطرار أن تعود إلى نظم عتيقة خدمت عصرها بإبداع ولكنها دون المستوى اللازم لتسارع الزمان واتساع المكان .

٧ - ثقافة لبيان التحدي الحضاري الذي يواجه الأمة وإسقاط ذلك على دور الفرد.

أحياناً لا ينقص الناس الهمة و الإخلاص وإنما ينقصهم فهم لعناصر

التحدي الحضاري على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة ومن ثم فإنهم يتوجهون بهذه الهمة في غير مقصدها الأمثل .

لذلك ينبغي أن تنتشر بين الناس ثقافة تبين لهم عناصر التحدي الحضاري الذي يواجه الأمة ككل و إسقاط ذلك على دور الفرد والجماعات المختلفة .

و لعلنا نلخص عناصر هذا النوع من الثقافة فيما يلي :

- التحدي على مستوى الجماعة وإسقاط ذلك التحدي على مستوى الفرد .
- التهيؤ للتحدي الفردي وما يستلزم ذلك من أخذ للنفس بالعزائم وإعداد للشخصية بالتعليم والتدريب .. فليس التحدي بالأماني وإنما ينبغي أن نتهيأ له بالأخذ بالأسباب (**ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة**) (سورة التوبة الآية : ٤٦)
- التهيؤ للتحدي الجماعي بإيجاد المناخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي يشجع الناس على التحدي ، وشحذ فعالية الأمة لتبذل قصارى جهدها.
- تخليص الأمة من التحديات الوهمية ، وتحديد الأهداف الاجتماعية والحضارية بوضوح شديد .
- توضيح دور الفرد ودور الدولة في أعباء التحدي الحضاري حتى لا تختلط الأدوار فتقوم الدولة بدور الفرد و يقوم الفرد بدور الدولة . ولا تثريب علينا أن نستفيد من نظم معاصرة فالحكمة ضالة المؤمن .
- التكبير فريضة إسلامية .
- يتلخص المنهج العلمي الإسلامي في نظام الأولية حيث يحدد الفرد أو

المجموعة أهدافاً لحركته ، ثم تنشأ نظم لتحقيق هذه الأهداف ، ثم يقاس ناتج هذه النظم ، ونقارن هذا الناتج بالأهداف المرجوة فإن كان هناك زيغ عن الأهداف ننشيء نظماً للتحكم في هذا الزيغ لتصغيره رويداً رويداً حتى يحقق النظام الأهداف المرجوة منه .

ـ الإيمان بأن العقل وحده لا يصنع حضارة راشدة و إنما يحتاج معه إلى الحكمة ، والحكمة هدى من الله تسعى إليه بالعطاء و التقوى و الإيمان بالحسنى.

ونقول كما يقول الصوفية : من ذاق عرف .. فلا جدال أن عالم الحكمة عالم خاص بذاته و الدخول فيه بإذن لا يمنح إلا بالعطاء و التقوى و الإيمان بالحسنى . والحضارات التي تقوم على العقل وحده حضارات غير إنسانية .. يمكن أن تحرق غابة لتصطاد ثعلباً ويمكن أن تلوث الأرض والسماء لأجيال ستأتي ما دامت ترضي شهواتها .. إننا ندعو إلى حضارة الحكمة والعقل لا حضارة العقل وحده ولذلك فالتربية الروحية تتوازى في مناهجنا مع التربية العقلية .. يتداخلان معاً ويتسابان في كيان المؤمن كله حتى يخرج إلينا هذا المؤمن رباني الفكرة و الهدف .

الفصل الرابع

أسلمة المعرفة والمعرفة الاسلامية

عندما بدأت «موجة» أسلمة المعرفة في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات وقفت منها موقف الخائف المشفق ، خائفاً أن تنصرف جهود العاملين في الساحة الإسلامية إلى عمل لا أظنه صواباً في مجمله ، ومشفقاً على الأوقات والجهود التي ستهدر في هذا الطريق وكان أولى بها أن تنفق في اتجاهات تعجل من قيام النهضة .

ولقد بدأت هذه الدعوة أساساً بين الإخوة المغتربين في الولايات المتحدة الأمريكية وحمل لواءها الأخ الشهيد إسماعيل الفاروقي عليه رحمة الله ، ورأيتهم في أواخر السبعينيات وهم يتقدمون لإحدى الجامعات الإسلامية في السعودية طالبين تمويل مشاريع من هذا النوع ، وكنت أفهم تماماً سيكولوجية المسلم العالم المغترب الذي يعيش صراعاً نفسياً من نوع فريد ، فهو ممزق بين ولائه العقيدي لإسلامه و ارتباطه العاطفي ببلاد النشأة و بين إقامته وعمله ومستقبله في بلاد الغربة ، ومن ثم فهو يريد أن يخفف من حدة هذا الصراع الداخلي بل و يحاول توجيهه و تغييره إلى سلام داخلي مع بقاء الواقع كما هو ، ورأيت حينئذ أن صرف جهود علماء الاجتماع و النفس في أمريكا في اتجاه أسلمة المعرفة كان جهداً في محاولة تحويل الصراع إلى سلام داخلي ،

ذلك كان ظني على كل حال ، وربما كنت مخطئاً حينئذ ، ولكن الأمر قد تغير بظهور المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، حيث تدفقت الأموال في خزينة المعهد وبدأت قضية أسلمة المعرفة تنتشر بشدة وبدأت الدعوة إليها في كل أقطار الأرض من الصين شرقاً إلى أمريكا غرباً إلى القطب الجنوبي جنوباً ، و أنا تربطني بالإخوة المشرفين على المعهدأخوة قديمة وود دائم ... ولكن هذه الأخوة وذلك الود لا يمنع أننا كنا في بعض الأوقات مختلفين على أولويات العمل الإسلامي : نبدأ الآن بماذا ونترك ماذا للغد ؟...

ورغم اختلافنا في بعض الأوقات فإنني ما زلت أؤمن أنهم فتية آمنوا بربهم وأنهم من خيرة شباب الأمة .. وهكذا أظن ولا أزكي على الله أحداً ...

وقبل أن أترك هذا التقديم لابد أن أذكر أن موجة أسلمة العلوم الإنسانية تلتها موجة أخرى تتعلق بأسلمة العلوم الكونية ، وإذا كنا نفهم محاولة البعض أسلمة العلوم الإنسانية فإننا نظن أن الجهد المبذول في أسلمة العلوم الكونية جهد متهم ، ولن أزيد ..

ونبدأ الآن بتحديد طبيعة العلوم الكونية وطبيعة العلوم الإنسانية ، على أنني سأكتفي هنا بتعريف العلوم الكونية حيث أفرغت لها بحثاً مستقلاً ، ثم أوغل في مشكلة العلوم الإنسانية وفيما أسموه « **أسلمة المعرفة** » .

فالعلوم الكونية هي العلوم التي تتعامل مع الجزء المادي من البيئة والإنسان ، وهي علوم تتمحور حول خلاصات التجارب وتهيكلها بعض الفروض الغيبية .

والعلوم الإنسانية : هي علوم التفاعل الإنساني مع الله و الذات والجماعة

والعالم في إطار بيئة محيطة وعالم غيب قيمي حيث البيئة تمثل إطاراً مادياً وجمالياً أو قل تمثل العناصر المادية في التفاعل وعالم الغيب يجمع القيم العليا والضوابط الحاكمة أو قل يمثل الجوانب الروحية ومساعدات التفاعل .

وفي العلوم الكونية نجد أن التجربة محدودة وقتاً ومادة وآثاراً بحدود واضحة محكومة بدرجة معقولة (وأحياناً غير معقولة) أما في العلوم الإنسانية فإن التجربة تكون محدودة وقتاً ومادة وآثاراً بحدود غير واضحة وغير محكومة بدرجة كافية .

إنك إذا وضعت صبياً في تجربة عاطفية ، فربما قضت عليه أو أنهكته لفترة طويلة وتركت وراءها آثاراً ما كنت تحسبها من قبل . ولو أن دولة تخوض تجربة اقتصادية تغير فيها شكلاً من أشكال الاقتصاد السائد .. فربما لا تجني آثار هذه التجربة شراً أو خيراً إلا في مدى أجيال متعاقبة ، وربما إمتدت آثارها إلى مساحات ما كنا نحسبها من قبل .

بل أن تغييراً بسيطاً في نظام الحكم يبدو تافهاً و الدولة في بسطة من الجسم والمال .. ولكنه قد يقوض كل قواعدها بعد حين ، والمشكلة أن هذا الحين يمضي بطيئاً أمام الناظرين فلا يكاد يُحس وإنما يفعل فعله في أجيال متعاقبة .

والعلوم الإنسانية علوم قيمية ... أي أنـها علوم تنمو حول مجموعة من القيم . وليس هناك علم إنساني مجرد من القيم .

خذ الاقتصاد مثلاً ، إنه علم يقوم على عالم غيب خاص به يمثل الرغبات الاقتصادية العليا عند مجموعة من البشر ، ولذلك إذا أردنا أن نقيم اقتصاداً إسلامياً فلابد أن نستجمع مجموعة القيم الاقتصادية التي نود أن نقيم عليها

بنياننا الاقتصادي ثم نتسلح بأدوات العصر العلمية و نبدأ في إقامة البنيان المرجو رويداً رويداً.

والسؤال المهم هو : هل يمكن أن يقوم اقتصاد راشد معتمداً على مجموعة ما من القيم التي يرجى تحققها عندما يشيد البناء الاقتصادي ؟

السؤال في حالتنا الإسلامية يؤدي إلى مجموعة أخرى من الأسئلة ...

ـ ماهي هذه القيم الإسلامية التي نبتغي تحقيقها في النظام الاقتصادي المرجو؟

ـ وماذا يحدث لو أغفلنا قيمة ما نسياناً أو خطأ ؟

ـ وماذا عن فهمنا المعكوس أحياناً للقيم الإسلامية المرجوة؟

ـ وهل هناك قيد على الطرائق العلمية التي يمكن استخدامها لبناء الهيكل الاقتصادي ؟

إن البحث في مثل هذه الأسئلة ومحاولة إجابتها ينبغي أن يكون الشغل الشاغل لمجموعات الإسلام القيمي .. هؤلاء الذين وهبوا أنفسهم للبحث عن قيم الإسلام الحاكمة في كل مجالات الحياة .. وأحسب أن إسراع الخطى في مجال الإسلام السياسي من غير جهد في مجال الإسلام القيمي خطيئة كبيرة

إن رفع شعارات الاقتصاد الإسلامي على مؤسسات لا تعرف قيم الإسلام الحاكمة في الاقتصاد سوف يؤدي إلى إجهاض الجهود المخلصة في سبيل نهضة إسلامية قريبة.

ولابد أن نستبين الآن ثلاثة مواقف : ـ

ـ فريق يؤمن أنه يمكن أن يقوم اقتصاد إسلامي على معطيات الإسلام القيمية إنطلاقاً من وعد الله لهم (وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقا) (سورة الجن الآية:١٦) ويحاول أن ينتهج النهج القاصد بالبحث عن هذه القيم ويعمل تجارب محدودة قبل الخوض في التجارب الضخمة ، هؤلاء يؤمنون بوجود اقتصاد إسلامي يمكن أن ينمو بالجهد البشري و التفاعل المثمر فوق أعمدة القيم الإسلامية

ـ فريق يرى أن الاقتصاد الإسلامي هو جماع هذه التشريعات التاريخية من لدن النبي الخاتم إلى يومنا هذا ، وهؤلاء هم أصحاب الاقتصاد التاريخي وهم الذين يقودون ألويته اليوم .

ـ فريق لا يرى احتمالية قيام اقتصاد إسلامي أو قيمي ويؤمن بالإندماج في أحد تيارات الاقتصاد السائدة عالميا ... وهؤلاء هم معشر العلمانيين .

ونعود إلى بحثنا عن طبيعة علم كعلم الاقتصاد فنقول إنه علم ينمو من خلال التجارب الراشدة للأمة عندما تحاول إقامة اقتصادها إنطلاقاً من مجموعة قيمها الحاكمة ، وليس ما ينتج من خلال هذه التجارب بالضرورة هو علم الاقتصاد التاريخي وإنما هو علم جديد ، بني بأدوات جديدة على قواعد من قيم ثابتة قديمة .

ويستلزم ذلك بث هذه القيم في أفراد الأمة من المهد إلى اللحد ويستلزم كذلك محاولة جادة من قبل الأفراد والجماعات والدولة لإقامة نظام يرتكز على هذه القيم .

ولذلك فإن الجهد الذي يبذل في اتجاه ما يسمى بأسلمة المعرفة يجب أن يرشد في اتجاهين :-

١ - ترشيد في اتجاه الاسم . فليس المطلوب « أسلمة المعرفة » فكل معرفة حقة هي معرفة إسلامية وإنما المطلوب هو « التمكين الإسلامي » الذي سيلد بالضرورة معرفة إسلامية وتوجيه الهمة الفردية والجماعية نحو محاولة إقامة حياة طيبة على قواعد من القيم التي يبشر بها الإسلام .

٢ - وترشيد في اتجاه المحتوى ، فليس المطلوب مقارنة الاقتصاد المعاصر بالاقتصاد التاريخي وعمل دوال ترابط بين المفاهيم المتقاربة وإعادة تسمية الأشياء ، هذا عمل جدواه الحضارية ضعيفة جداً ... وإنما المطلوب في هذه المرحلة هو البحث بجد وعزم عن القيم الحاكمة في مجال ما في ثنايا آيات الكتاب الكريم و الأحاديث الصحيحة المؤكدة ، وعمل تجارب صغيرة للتأكد من فهمنا لهذه القيم ، وبذل الجهد الجهيد من أجل التمكين الإسلامي .

ولقد ضربنا مثلاً بالاقتصاد ، ولكن كل العلوم الأخرى تمضي في نفس الدرب. فعلم الاجتماع الإسلامي التاريخي ليس هو المطلوب في هذه المرحلة ، وليس مطلوب كذلك عمليات توفيقية و تربيطية بعلم الاجتماع الغربي المعاصر ، وإنما المطلوب أن يبدأ الإنسان المسلم مسيرته مزوداً بعلوم عصره وعاقداً العزم على أن يبني في مستقبله علم اجتماع قائم على أسس عقيدته وقيمه .. مستخرجاً ذلك من كتاب ربه وسنة نبيه وواعياً أشد الوعي للتجارب التاريخية لأمته ، ومستوعباً لحضارة عصره ، مدركاً لفضائلها ولشروطها.

والمعارف ليست كائنات حية ولدت على القطرة حتى نهودها أو ننصرها أو «نؤسلمها» ، وإنما هي حصاد جهود بشرية متراكمة منها ما هو قطعي ومنها ما هو ظني .. وكلها محدودة بحدود التجارب الإنسانية التي انبثقت منها .

ويعجبني هنا ما قاله الاقتصادي الإنجليزي شومبيكر معلقاً على الإسهامات العبقرية لفرويد وماركس قائلاً :(١)

« إن هذه الأفكار تمثل وثبة للخيال إلى المجهول وإلى الذي لا يمكن معرفته . بالطبع لقد بدأت الوثبة من قاعدة صغيرة تشتمل على بعض الحقائق المشهودة ، وأن هذه الأفكار ما كانت لتستكين في عقول كثير من الرجال لو لم تحمل في طياتها قدراً من الحق ، ولكن المشكلة الأساسية في هذه الأفكار هي في إدعائها العمومية ، فماركس لايقول أن مراحل معينة من التاريخ تتميز بالصراع الطبقي ولكنه يزعم أن « المادية العلمية » تصبغ كل مراحل التاريخ البشري بالصراع الطبقي ، وفرويد لا يكتفي أن يقدم عدداً من الحالات والمشاهدات الكلينيكية والتي تخص بعض المرضى ولكنه يقدم نظرية للنزوع الإنساني زاعماً أن كل الأديان ما هي إلا عصاب استحواذي» .

صدق شومبيكر و نضيف مؤكدين أن المعرفة محدودة بحدود التجربة التي انبثقت عنها ، فقوانين نيوتن لا تستطيع أن تفسر حركة الأجسام الصغيرة المتناهية في الصغر ، وأن يأتي عالم فيدعي عموميتها متناسياً حدودها فإنه يكون قد إمتد بها إلى غير دربها و تكون حينئذ معرفة غير إسلامية وصاحبها

---

(١) انظر كتابنا : مقدمات في البعث الحضاري .

تجاوز الحد وخالف الشرع الذي يقول « لاتقف ماليس لك به علم » ونحن كمسلمين سنحترم كل معرفة انبثقت من تجربة إنسانية مشهودة باستخدام أدوات ومناهج تحصيل أصلية . سنحترم علم النفس ونتائجه الغربية وسنعتبر هذه النتائج صحيحة تماماً في ظل ظروف إنسانية مغايرة أما ان نعتمدها ونطبقها عن غير علم حذو القذة القذة في غير ظروفها .

فهذا هو العبث ويصبح العبث أشد بأن نستجلس على المكاتب قوماً يتأملون التجارب الغربية وما انبثق عنها من علوم ونطلب منهم يؤسلموا هذه العلوم وكأنها علوم منبتة الصلة من وعائها الحضاري المغاير .

إن الغرب بكل إنجازاته في علوم النفس والاجتماع لا يتسطيع أن يتنبأ بالحركة النفسية أو الاجتماعية لأفراد وشعوب مجتمع كمجتمعنا بناءً على نتائج متشابهة لمجتمعه ، وأنهم ليعرفون ذلك أشد المعرفة كعلماء دارسين ، ولذلك تتجه كثير من مشاريعهم إلى إجراء تجارب اجتماعية ونفسية في منطقتنا بغية فهم عالم القيم الداخلي للإنسان و المجتمع ، ويستطيع الإنسان أن يفسر كثيراً من النشاطات المشتركة بيننا وبينهم والتي ظاهرها الرحمة لنا من هذه الزاوية بسهولة ويسر . ومن هنا فإنني ضد أي مشاورات مشتركة بين جيشنا وأي جيش أجنبي وضد استجلاب خبراء أجانب للبقاء فترات طويلة في أماكن حساسة ، وترك الحبل على الغارب لهم للتمكين النفسي والاجتماعي . ولقد كنت شديد الضيق بضيافة الرئيس الراحل السادات لبعض الصحفيين الأجانب في بيته يدرسونه عن قرب ، ويتعرفون على كل دوافعه من خلال مشاهدة لصيقة لحياته الاجتماعية .

ولعلي ألخص فأقول :إن العلوم التي تصف حركة النفس و المجتمع وتفاعلها مع المادة ومع القيم علوم تعتمد على طبيعة القيم السائدة في النفس والمجتمع ودرجة تأثيرها على السلوك الخاص والعام . ولكن الطرائق المستخدمة في استخلاص هذه العلوم من مجموعة التجارب التي أفرزتها هي طرائق عامة ، ينبغي أن نحرص على استخدامها ما وسعنا الجهد . وكما يفعل الغربيون لابد أن تنمو عندنا كذلك القدرة على إجراء التجارب الأمينة في مجالات علوم النفس والاجتماع والاقتصاد ، مزودين بالطرائق العلمية التي نمت في الحضارة الغربية ومحاولين التنبؤ بالنتائج من خلال عمليات نمذجة ديناميكية للواقع تقوم على المشاهدة ، ومن ثم عمل محاكاة للواقع بإدخال متغيرات مختلفة . و إن عمليات النمذجة للواقع الإسلامي ستغاير لا محالة عمليات النمذجة لأي واقع آخر ، ومن خلال هذه الخصوصية ـ خصوصية النموذج ـ سوف يكون الزرع الإسلامي في مجالات المعرفة فريداً في ذاته وليس كمثله نموذج آخر .

ولابد أن نؤكد في نهاية هذا الموضوع على نوعين من الجهد الإسلامي ، ينبغي أن تخلص لهما الجهود في هذه الفترة التاريخية : نوع يتوجه إلى الجماهيرونوع يتوجه إلى الخاصة . فالحركات الإصلاحية الجماهيرية مهمتها صرف أبصار الجماهير إلى القبلة و تزويدهم ببعض الزاد الروحي و الفقهي الذي يسرع خطاهم نحو مزيد من الفهم و الإخلاص و العمل . والحركات الإصلاحية القيمية تأخذ القادرين من المتوجهين نحو القبلة وتستحثهم للبحث الدؤوب في بحار القرآن التي لا تنفد ... بحثاً عن كلمات الله التي تمثل القيم التي ينبغي أن يقيم الناس حياتهم حولها و يصنعون بيوتهم على أسسها ...

ولابد أن نذكر أن كلمات الله لا تنفد ، وكلما خطونا خطوات إلى العلا وأوغلنا في البحار القدسية القرآنية سوف ندرك مزيداً من القيم وزهوراً من المعاني .

تقرأ لمفسر في القرن الرابع الهجري تفسيره لسورة الفلق فيحدثك عن السواحر اللواتي يعقدن عقد الخيط و ينفثن فيها ، و ذلك بالقطع كان سائداً في الحياة الجاهلية العربية ، ولكنك اليوم في القرن العشرين و تقرأ مقاطع السورة مقطعاً مقطعاً فيهيىء إليك أنك تملك ناصية علوم النفس جميعاً ..

قال تعالى (**قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر غاسق إذا وقب . ومن شر النفاثات في العقد . ومن شر حاسد إذا حسد**) (سورة الفلق)

فبعد أن تستعيذ برب الفلق .. وما أجمل فلق الصبح بعد ظلام الليل . وكل إنسان يأمل في فلق ، وكل شعب يأمل في فلق .. ففلق الإصباح حيث الرؤية الواضحة المستنيرة .. سوف يعين الفرد والجماعة أن تتجنب شرور المخلوقات وتستعين بخيرها .. هذا الفلق هو النور الذي يملأ الصدور بالإيمان و العقول بالعلوم ... هذا الفلق هو الذي ينير الأبصار و البصائر ، فإذا أنت مع المخلوقات في تناغم جميل ، وتكون كداود عليه السلام ، تؤوب معك الجبال والطير .. وتتعاون معك المخلوقات ..إنسها وجنها وبقية مخلوقاتها . وأنت تفعل ذلك بكشاف الفلق .. العقل العالم و البصيرة المؤمنة .. فإذا من الله عليك بالنور و الضياء في حياة طيبة فأنت تستعيذ بالله من شر الظلمات التي ستدخل عليك كما يدخل الليل في النهار رويداً رويداً .

ولذلك لابد أن تنتبه وتصطنع من أدوات القياس ما يحذرك من قدوم الظلمات التي ستوف تحيط بك في صمت وتزداد شدتها في هدوء .. ثم يحذرك من شر هذه الأجهزة الرهيبة أجهزة المافيا الشيطانية التي تتعرف على عقد الناس النفسية والاجتماعية ، وليس هناك فرد بغير عقد ، ولا مجتمعاً من غير عقد ، فتبدأ هذه الأجهزة في نفث سمومها عن طريق هذه العقد لتدفع الأفراد والمجتمعات إلى وجهة تريدها وشر ترسمه لهم ثم يحذركم من شر هؤلاء الذين يتمنون زوال النعمة عنكم حتى تنتبهوا وتدرسوا وتتعرفوا عليهم . فالحذر واجب ، ولكننا نحذر ما استطعنا بالجهاد الدائم وفي كل الأحوال نستعيذ بالله فهو وحده الذي سيمنحنا الأمـــان النفسي والاجتماعي وسيحمينا من شرور خلقـــه .

هذا إبحار على شاطىء السورة ، وكلما أوغلنا بمركب الإخلاص و العلم سنرى عجباً كثيراً ، فوعد الله واضح ..(**قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مـدداً**) (سورة الكهف الآية : ١٠٩) .

الباب الثانى

إمكانية البعث الحضارى وتحديات الواقع

الفصل الأول : دور العلماء فى مستقبل الحضارة العربية الاسلامية

الفصل الثانى : حول طبيعة العلوم التجريبية وفلسفة المنهج التجريبى

الفصل الثالث : التعليم والبطالة

الفصل الرابع : الدولة الاسلامية ضرورة حضارية

الفصل الخامس : ملاحظات حول دور الحركة الاسلامية فى البعث الحضارى

دور العلماء في مستقبل الحضارة العربية الاسلامية

نحن علماء التنمية القهرية ، وجودنا مرتبط بها ودورنا مرتبط معروف في منظومتها ، ولم نستطع حتى اليوم أن نتفلت من دوائرها الخبيثة . ولقد أجهضت محاولة أجدادنا القريبة للنمو الذاتي والذي كان قد بدأ في مصر منذ خمسين عاماً على الأقل قبل الاحتلال الفرنسي وكان من عباقرته الشيخ الزبيدي والشيخ حسن الجبرتي من رواد الإصلاح الأوائل .

نشأنا منبتين عن تنمية البقاء ، و أعجزتنا في طلبها تنمية النماء والسبق ، فلم نكد ندرك لها سبيلاً وبذلك أصبحنا علماء بلا قضية وبلا أمة . بل يكتب عالم شهير ذاع صيته في العالم أنه خُيِّر بين العلم ووطنه الإسلامي فاختار العلم ، وما كان له أن يهوى إلى هذا الاختيار وهو الأديب العالم إلا بوقوعه - مثل آلاف غيره - في أسر تنمية قهرية صنعتها لنا دولٌ أجنبية لا تريد لنا خيراً .

والأصل في الأشياء أن الله يخرج العلم من التكنولوجيا ويخرج التكنولوجيا من العلم .

وفي حضارتنا نعود كما عودنا رسولنا من الذي لا ينفع .

ولعل سائلاً يسأل : ما طبيعة هذه التنمية القهرية ؟ .. وماذا تريد بنا؟!

إنها تريدنا أن نحيا كسوق لمنتوجات الغرب وما يستلزم ذلك من بعض الصناعات الثقيلة والخفيفة كخطوط إنتاج منقولة من المصانع الغربية ومعتمدة في تجديدها وتطويرها على مصانعه ومراكزه التطويرية .

حتى في الأشياء التي نجيدها كصناعة ملابسنا يغوينا أن نتبنى أزياءه ، ثم يغرينا بالإقلاع عن التفصيل اليدوي والدخول في عالم «الميكنة» فندخل في الطريق ببلاهة شديدة ، حيث تعطل الأيدي التي كانت تغزل وتنسج وتحيك وتبقى معطلة في معظمها إلا القليل الذي سيعمل في المصانع المستوردة بأكملها من الخارج .

في بلد كمصر عندنا أنواع من الشراب تفيد الصحة وتروي من الظمأ مثل العرقسوس والتمر هندي والخروب وغيرها من الأشربة العظيمة . يأتي الاستعمار ويغرينا بأشربة جديدة لا نعرف ماهيتها حتى اليوم ويبيع لنا مصانع كاملة لإنتاج هذه الأشربة بقروض غاية في الفحش وتتحول رويداً رويداً من أشربتنا الوطنية إلى الكوكاكولا والشويبس ، ويكبلنا الاستعمار بالديون الباهظة التي لم نشتر بها تكنولوجيا جديدة وإنما استبدلنا الذي هو أدنى بالذي هو خير .

في مصنع من مصانعنا الكبرى والتي تنتج أسلحة متقدمة حدثني رئيس مجلس إدارة المصنع أنه في أحد الاجتماعات مع جهة صناعية غربية كانت قد قامت بعمل تطوير مشترك لأحد المنتوجات الاستراتيجية ، وأنفقت فيه الجهة

الوطنية ما يقرب من ٤٠٠ مليون دولار في هذا الاجتماع كان المسؤول الغربي يتهرب من بعض الالتزامات التي اتفق عليها في عقد التعاون ، وعندما أصر المسؤول الوطني على أن يلتزم الجانب الغربي بما اتفقوا عليه ، سأل المسؤول الغربي قرينه الوطني في استنكار بالغ :

هل تريد فعلاً أن تنتج هذا المنتوج وتسوقه إلى الخارج ؟ ...

فبهت المسؤول الوطني وقال : أأنفق ٤٠٠ مليون دولار عبثاً ؟

والعجيب أن هذا المنتوج لم يأخذ طريقه إلى السوق حتى داخل وطنه..!!

ولعلنا نلحظ أن آليات التنمية الضاغطة تبدأ دائما من السلطة ولذلك تحرص القوى الاستعمارية على الحكم الشمولي في بلادنا وتؤازره ، وهمها أن تصبح السلطة مركزة في يد فرد أو مجموعة صغيرة تحيطها بمستشاريها وخبرائها وتقوقعها في حبائلها طوعاً وكرهاً وتتدرج بها في مهاوي الضعف حتى تفقد العزيمة على صناعة القرار الوطني ، فتستجيب لكل ما يملى عليها مما يعطل نموها ويزيدها وهناً على وهن .

والسؤال : لو أن أمتنا استعادت وقتها السالف وملكت مرة أخرى لحظة اختيارها الحضاري فما الذي كان ينبغي أن تفعله ؟ وما القاعدة التي كانت ينبغي أن تؤسس عليها انطلاقها ؟ !

إن القاعدة الذهبية في علوم بناء الحضارات هي « ألا تهدم كوخك إن كنت لا تعرف كيف تبني خيراً منه » ومن ثم إن وجدنا تنظيماً فعالاً في المجتمع فينبغي الحفاظ عليه وتطويره رويداً رويداً ، وذلك إن كنا لانعرف

تنظيماً أفضل أو طريقة نغير بها تنظيمنا الاجتماعي من غير خسارة أفدح من المشكلات التي يسببها التنظيم الحالي. وتطبيقاً لعكس هذه القاعدة الذهبية ، انطلقت أمتنا وعلماؤها الأشاوس في هدم ما كان قائماً في حياتنا من وسائل تنموية من أجل بديل لا نملكه ، ويكلفنا الحصول عليه حريتنا رويداً رويداً ، وكان الأحرى أن ننطلق في تطوير ما هو قائم من مجالات ووسائل تنموية وذلك في كل ما يتعلق بحد الكفاية الطعامية و الشرابية و السكنية واللباسية والعلاجية ، أما ما يتعلق بالتكنولوجيا المتقدمة فنصنع لها مخططاً استيعابياً يبدأ بشحذ فعالية الأمة علمياً وتقنياً ثم إرسال الرسل القادرين على اقتناص الفرص التكنولوجية .

وينبغي أن يكون من أهدافنا أن نحول دون تخليق عالم أشياء نسبق به قدراتنا التكنولوجية حتى لا يعجزها طلباً ويحول دون مشاركة الأمة في تحديث عالم أشيائها ، فهذه هي فرصة الأمة الوحيدة في التعليم والتدريب على تصنيع عالم الأشياء الجديد . وهذه على كل حال مسؤولية السياسي العالم الذي يدرك أنه ينبغي عليه أن يدرب أمته على الجديد الذي يريده حتى لا تظل تمد يدها في ذلة إلى غيرها . ولعلنا نلخص دور العلماء في مستقبل هذه الأمة بالحديث عن سبعة محاور نظنها قد أحاطت بالقضية من معظم جوانبها .

١ ـ علماء الأمة والتنمية والسياسة

لايمكن لعلماء الأمة أن يظلوا بعيدين عن صناعة القرار السياسي في مجال التنمية ، لأن خطط التنمية ستؤثر تأثيراً بالغاً في فعاليتهم ، ومن ثم فإن ترك الخطط بأيدي السياسيين وحدهم يعتبر جريمة في حق الأمة . ويستلزم

ذلك فهما من قبل العلماء لطبيعة التنمية المرجوة ، وكما قلنا في أماكن أخرى ينبغي النظر إلى التنمية كطيف كبير أوله تنمية البقاء وآخره تنمية النماء والسبق.

هذا الفهم الكامل لطبيعة التنمية المرجوة ولطيفها الدقيق سوف يستلزم تدريباً على مهامها ، ويستدعي أن تعد برامجه وخططه والقوى البشرية القادرة عليه . ويستدعي هذا التدريب أيضاً تعليماً مصاحباً يعين عليه . وفي غياب هيئات مركزية تبحث في هذا الأمر وتجمع العلماء عليها ينبغي أن يكون ذلك عملاً إصلاحياً تطوعياً توقف عليه الأوقاف وترصد له بعض الزكاة والصدقات.

٢ ـ علماء الأمة وطبيعة بحوثهم

سواء كنا في الغرب أو في بلادنا فإن معظمنا يتجه إلى التقاط مواضيع بحثية لا يعرف من أين تنبع ولا إلى أين تصب ، ومعظم بحوثنا تحليلية في جملتها ، ولا تحمل أي بُعد تصميمي أو أي بُعد تقني .

وعلماؤنا ينبغي أن يتحلقوا حول مجموعة من النظم الحيوية ويقيموا حولها بحوثهم ، ويحتاج ذلك إلى بعض العقليات الشمولية التي تستطيع أن تحيط خبراً بالموضوع وتقسمه علمياً وتكنولوجياً وتطرحه للبحث على العلماء .

ويمكن البدء في بعض المواضيع الاستراتيجية والتي تهملها التنمية المركزية ولكنها بالنسبة لنا تمثل حياةً أو موتاً .

إن تجميع بعض العلماء حول نظم بعينها مهم في هذه المرحلة جداً ، ولعل المنظمة التي شرفت بالدعوة إليها منذ عامين ، والتي ستبدأ عملها من خلال

نقابة المهندسين المصرية تقوم ببعض الجهد في هذا الميدان ، أقصد «مركز تنمية الابتكارات باتحاد المنظمات الهندسية في الدول الإسلامية» .

ولابد من أن نشير إلى أنه سواء كانت النظم التي نتحلق حولها نظماً متقدمة غربية أو نظماً نمتلكها ونريد تطويرها فإنّ ذلك في كل الأحوال يحتاج إلى علوم وبحوث مصاحبة .

في القاهرة يقوم أحد إخواننا من أساتذة الهندسة الميكانيكية «الأستاذ الدكتور حامد الموصلي» ببحوث غاية في التوفيق في استخدام جريد النخيل لصناعة الأخشاب بما يستدعيه ذلك من دراسة للخواص الميكانيكية والطبيعية ، ولقد استرعت هذه البحوث الأنظار إلى ثروة خشبية متجددة لم نكن ندركها من قبل ، بل إن بحوث نفس الأستاذ عن ورد النيل وهو نبات ضار نضيق به أشد الضيق في وادي النيل أثبتت أنه خامة صناعية رائعة لعمل بلاطات عازلة تشبه الخشب المضغوط ، مثل هذه البحوث عندما تدور في فلك منظومة تنموية شديدة النفع للناس كالأخشاب يصبح الإقبال عليها مسوغاً حضارياً ، وبرغم بساطتها فيمكن أن تمتد مع الوقت طبيعة البحوث لتصل إلى آفاق ما كنا نحسبها من قبل .

والمطلوب أن ينهض الناس ، ولا ينتظروا « الحكومات » ، ينهضوا مثنى وثلاث ورباع ليقيموا جماعات بحثية تقنية تتحلق حول منظومات تنموية نافعة ، ويقيموا حولها بحوثهم ، وفي كل الأحوال ينظروا إلى ما بين أيديهم لا إلى ما بين أيدي الآخرين .

٣ ـ العالم والسياسي

لن يستطيع العلماء أن يصلحوا في جو أفسده السياسيون .

ولقد تابعت كل التجارب الناجحة في العالم غير الغربي فوجدت وراءها دائماً سياسياً مخلصاً وعالماً ذا إخلاص وهمة حضارية .

ولقد سعدت جداً بالنشاط الطيب لماليزيا في مجال المايكرو إلكترونيك ، وتحدثت مع بعض إخواني من الماليزيين فعلمت ما أكد لي صدق نظريتي من ضرورة وجود مزدوج : السياسي المخلص والعالم ذو الإخلاص والهمة .

والسياسة العلمية للدولة يمكن أن تؤثر على الاختيارات البحثية عند العلماء ، فالدولة التي تثيب على الأعمال العلمية و التقنية النافعة سواء بالحوافز أو بالترقيات يمكنها أن تكثف النشاط في مجالات بعينها ومن ثم تضعف التوجهات العشوائية للعلماء . ولن يتم ذلك إلا إذا استوعب السياسي دوره في التنمية العلمية و التقنية ، وكان فاهماً لهذا الدور وحريصاً على أدائه في إحسان .

و حسبنا هنا الإلماح لهذا الدور والحديث بقية في بحث منفصل إن شاء الله .

٤ ـ الثرى والعالم

في غيبة الدور الواعي للسياسي « والحكومات » يصبح فرض عين على أثرياء هذه الأمة أن يبحثوا عن العلماء المخلصين وعن المنظومات التنموية

الهادفة ويزاوجوا بينهم بما حباهم الله من مال ، وأعلم قدر الحساسية التي يتمتع بها العلماء إزاء الأغنياء ، ولكن ينبغي عليهم أن يبذلوا شيئاً من حياتهم في سبيل الله ، فما دمت تريد ما تريد لوجه الله فيكون إحجامك عن السؤال نوعاً من الكبر يأباه عليك دينك ، وأقول هذا وأنا أجاهد نفسي لتفعل ذلك فتأبى علي ، وبرغم قسوة تجربة صغيرة قمت بها من أجل إنشاء هيئة لتنمية الابتكارات وكان مردودها عند بعض الأثرياء سلبياً ، برغم ذلك فمازلت أؤمن بأنا ـ معشر العلماء ـ لابد من ألا نيأس من فضل الله على الأثرياء وأن نعاود الكرة مرات ومرات ، وأعلم أنه مما يعوق إقبال الأثرياء على المشاريع العلمية والبحثية تجارب سيئة لبعض النصابين والذين نصبوا على أهليهم نصباً وصل إلى مئات الملايين !

٥ ـ العالم والإصلاح الاجتماعي

إن يكن جيلنا قد سقط في دروب التنمية الغربية القهرية رهباً أو طمعاً فإن الفرصة مازالت سانحة أمامنا بالنسبة للأجيال القادمة من العلماء ، وهؤلاء ينبغي أن نرشد خطوهم من الآن وأن يعلموا أنه لا ينبغي عليهم أن يقتفوا آثارنا وإنما يتبعوا سبيلاً أكثر رشداً ... سبيلاً مرتبطاً بما أسلفنا من أطياف التنمية القاصدة .

ومن ثم فإن دور العلماء الذين أدركوا ما أدركوا من فساد تجربتهم وجدت لهم سبل جديدة السير في دروب تنمية علمية قاصدة . أقول : إن دورهم بالغ الأهمية في التبشير بالطريق القاصد و التحذير من الطريق الدحض اللزق ،

ولأن العلماء هم المسؤولون أيضاً عن العملية التعليمية فينبغي عليهم مراجعتها مراجعة كاملة والعمل على تحسينها نظماً ومناهجا .

٦ ـ العالم وفرص النمو في الأمة

لو نظرنا إلى خريطة العالم الإسلامي وأسقطنا عليها مختلف الاحتمالات التقنية وكذلك الإمكانات المادية والبشرية لوجدنا اختلافاً كبيراً .

بلاد عندها إمكان بشري وضعف مادي واحتمال تقني . وبلاد عندها إمكان مادي وضعف بشري وضعف تقني ... إلى غير ذلك من التوقعات المختلفة ، ولأنه مازال بيننا وبين التوحد السياسي للأمة مسافات شاسعة يحول بيننا وبينها الاستعمار وقرينته الشمطاء القابلة للإستعمار «كما عبر عن ذلك أستاذنا مالك بن نبي عليه رحمة الله » فينبغي على العلماء أن يثبتوا في المواقع ذات الاحتمال التقني ويتحملوا شظف الحياة فيها ، بل ويسعون إليها من مواقعهم المختلفة في الأمة .

وللأسف إن علماءنا يسعون لغير ذات الشوكة ويسكنون فيها جمعاً للمال وبعداً عن المشقة أو يبقون في الغرب حباً في الحياة العلمية أو المسادية أو الحضارية هناك ، وأنا أدرك أن الأمر ليس سهلاً إجرائياً ...فمازالت القيود الاستعمارية تحول دون التنقل السهل بين أقطار الإسلام ، وما زال أحدنا يقف ثلاث ساعات ليخرج من مطارات المسلمين ، بل إن عالماً مسلماً يعيش في الغرب وقفوه عشرين ساعة في مطار إحدى الدول الإسلامية وكادوا يعيدونه إلى حيث أتى من الغرب لولا تدخل بعض العقلاء عند وزير الداخلية .

٧ ـ اتحادات العلماء

إن يكن بيننا وبين الوحدة السياسية بعد المشرقين فلنسع إلى وحدة الأمة العلمية متمثلة في اتحادات لعلماء العالم الإسلامي في توجهات تخصصية ، ومن الذي يمنعنا من أن نتبادل المعلومات وأن نخطط لتبادل الوثائق العلمية التقنية المختلفة حتى لا يضيع وقت كثير في تكرار الجهد ، لقد بدأنا ـ بحمد الله ـ في القاهرة وأنشأنا مع إخواننا في كثير من بلاد الإسلام منظمة هندسية دولية ... وليس المهم أن ننشيء مؤسسات دولية وإنما المهم أن نعرف ماذا نريد منها وما الوظائف المنوطة بها ؟

بل إننا نستطيع أن نستفيد من إخواننا الذين آثروا أن يبقوا في الغرب في نقل النافع المفيد من تكنولوجيا مسموح تداولها حيث يقيمون ، ونحول حينئذ النقمة التي حلت بنا من هجرة العقول إلى نعمة وخير .

وينبغي علينا الآن أن نعيد النظر في سياسات الابتعاث حيث نبعث القادرين على اقتناص الخير .. ونكف عن ابتعاث الغلمان والصبية الذين يتيهون في عالم الغرب لا يعرفون ماذا يأخذون ولا ماذا يتركون .

وثمة أمر نختم به هذا المحور وهو في رأينا بالغ الأهمية .. هذا الأمر يتعلق بالمنظومة البشرية في ميادين العلم والتكنولوجيا فعندنا ـ والحمد لله ـ أطر كثيرة تعمل بطريقة عشوائية في ميادين العلم والتكنولوجيا ولكن يلاحظ غياب أجزاء كاملة من هذه المنظومة بحيث يؤدي هذا الغياب إلى عدم فاعلية هذه المنظومة .

كيف يتفاعل العلميون مع المهندسين ؟ وما دور العلم ودور التكنولوجيا؟ وما طبقات العلماء ؟ وما طبقات التكنولوجيين ؟

قلنا في أماكن كثيرة من قبل : إن العلم والتكنولوجيا كائنان متمايزان إثراؤهما يحتاج إلى مناهج متباينة ، وتكوين التكنولوجي يختلف في برامجه عن تكوين العالم وبينهما طبقات من العلماء والمهندسين والمصممين بعضها مع بعض ، تحتاج إلى مراجعة ودراسة .

وبعد ؛ فإن العلماء هم ورثة الأنبياء ، ولقد تبين لنا فيما طرحناه أن الشق الاجتماعي بالغ الأهمية في جهود العلماء وهو يتعلق أساساً بالاختيار العلمي والتقني اختياراً يتناسب مع أمتنا في ظروفها الراهنة .. وأحسب أن الأمة في حاجة إلى علماء بررة ... يقفون مع أمتهم في محنتها العلمية .. ولا يولون الأدبار في زحفنا الحضاري .

ثبت الله أقدامنا ، وهدانا سبلنا .

(**وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولوشاء لهداكم أجمعين**) (سورة النحل الآية : ٩)

الفصل الثاني

حول طبيعة العلوم التجريبية وفلسفة المنهج التجريبي

أجدني دائما عندما أتذكر قول الله تعالى « وعلم آدم الأسماء كلها » ينصرف فكري إلى أمرين الأول أن الإنسان سيحيط علمه أسماء كل شيء من المخلوقات التي تحيط به ، والثاني أن هذا الإنسان لا يتجاوز علمه أسماء الأشياء إلى ماهيتها .

وأضرب لكم الأمثال .. فقوة التجاذب بين الأجسام قوة قد عرفها الإنسان و أدرك وجودها ووصف تأثيرها الظاهر وصفاً دقيقاً بقدر دقة أجهزته القياسية ولكنه حتى اليوم لا يعرف ما هيتها ولا يدرك كنه أسرارها .. ولا يبدو في الأفق القريب أي ضوء ينبىء أنه سيفعل ذلك غدا .

والذي قلناه عن الجاذبية ينطبق تماماً على القوى الكونية الأخرى حتى الذَّرَّة بالقـذة .

فالضوء مثلاً كائن عجيب وقد صنفه الإنسان مرة على أنه جسيم مادي ففسر بذلك كثيراً من النتائج المعملية ، ولكنه لم يستطع تفسيراً لكثير من التجـــارب الأخرى و التي اضطرته أن يفسره على أنه موجات

كهرومغناطيسية .. حيث ارتضى الإنسان تفسيراً يحتفظ بالطبائع المضادة لنفس الشيء وأسمى ذلك مبدأ الثنائية .

فطبيعة الموجات مضادة لطبيعة الجزيء المادي ، وبمنطق البشر ينبغي ألا تتعايش هاتان الطبيعتان . ثم اقترح العلماء بعد ذلك أن كل شيء في الوجود له هاتان الطبيعتان المتضادتان ... فأنت أيها الإنسان موجه لك طول ولك تردد كما أنك جسم مادي لك حجم و كتلة . وكل ذلك ناشيء من قصور العقل البشري في تفسير طبائع الأشياء بعد أن عرف بوجودها وأسمائها فلما أراد أن يخضعها لنموذجيه (نموذج الجسم المادي أو نموذج الموجة) تمايلت عليه تيها .. فمرة هي موجة ومرة هي جسم مادي .. فهتف الإنسان ضد منطقه السابق قائلا للطبيعة المعجزة أنت أنت الاثنتين .

وربما يظهر له في المستقبل طبائع أخرى لهذا الكون المعجز يزيده كل يوم حيرة و كلما أوغل جهل .. حيث تنفتح أمامه كنوز الجمال و الكمال في الكون المعجز و تزداد أدواته في فهم الأسرار المتعلقة بالماهية والكنه عجزاً ووهناً .. ولعله يومئذ يلاقي ربه مؤمناً بعد هذا الكدح الدؤوب .. (**يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه**) (سورة الانشقاق : الآية ٦) .

وفي إطار العلاقات بين الأشياء يتحرك الإنسان دائماً في ظل مجموعة من الغيبيات الإيمانية ، والتي يمكن برهنتها جزئياً ببعض آثارها المختلفة ولعلنانذكر الآن القوانين الكلاسيكية .

ـ قانون بقاء المادة ـ قانون بقاء كمية الحركة ـ قانون بقاء الطاقة .

ولم نكن قد عرفنا قبل ظهور النظرية النسبية الخاصة أن بين الكتلة والطاقة علاقة وثيقة بحيث يمكن أن تتحول الكتلة إلى طاقة و الطاقة إلى كتلة .

وإن الإيمان بغيبية بقاء الطاقة هو الذي أدى بالإنسانية إلى معرفة أن الحرارة صورة من صور الطاقة ، فلقد كان التصور هو أن الحرارة نوع من أنواع السوائل ينفذ في الأجسام فيزيدها حرارة أو ينقص منها فيزيدها برودة . فلما بدا لعلماء الديناميكا الحرارية أن قانون بقاء الطاقة غير صحيح إلا إذا أمنا أن الحرارة نوع من أنواع الطاقة كان ذلك هو السبيل الجديد لفهم كل الظواهر الحرارية ومن ثم أفرغوا لهذه الحقائق قانوناً أسموه القانون الأول للديناميكا الحرارية .

ومن الأمثلة الغيبية في العلوم و التي أدت في بعض المواقف إلى حقائق مذهلة قضية عدم تغير القوانين الطبيعية بتغير المحاور القصْرذاتية (أي المحاور التي تتحقق فيها قوانين الحركة لنيوتن وهي المحاور الثابتة أو المتحركة بسرعة ثابتة بالنسبة للنجوم الثوابت) فعندما حاول لورنتز في أوائل هذا القرن أن يبحث إن كانت قوانين الكهرومغناطيسية لا تتغير بتغير المحاور وجد أنها تتغير وأنه إذا أردنا عدم تغييرها فينبغي أن تكون هناك علاقات بين الزمن و المسافة وهي بكل مقاييس العلماء في ذلك الوقت علاقات مستنكرة فالزمن مستقل عن المسافات و المسافات مستقلة عنه .

فجاء من بعده ببضع سنين العبقري ألبرت اينشتاين وآمن بالغيبية وأضاف إليها غيبية أخرى (عليها بعض الشواهد التجريبية) وخرج علينا بنظريته في

النسبية و التي أكدت العلاقات التي استنتجها لورنتز ولكنه لم يؤمن بها والتي سميت باسمه تكريما له.

الصراط المستقيم

ولقد استطاع كثير من العلماء أن يعيدوا صياغة التعبير عن القوانين الطبيعية بطريقة الصراط المستقيم . فحركة الكون تتوخى دائماً البحث عن الصراط المستقيم ، فمثلا كل قوانين الضوء التي نعرفها يمكن استنتاجها من حقيقة واحدة .. ألا وهي أن الضوء يحاول أن يصل من نقطة إلى أخرى في أقل وقت ، أي أن صراطه المستقيم هو تقليل وقت وصوله من نقطة إلى أخرى ، و لذلك يمكن للضوء وهو يسير من نقطة إلى أخرى أن يكون مساره أطول من اللازم ليتحاشى الدخول في مواد تقلل من سرعته ومن ثم تزيد من وقته ، أي أن قدره الذي قدره الله له هو أن يبحث عن الطرق التي تستغرق أقل وقت .

وقوانين الحركة لنيوتن يمكن إعادة صياغتها بحيث تبحث الأجسام في حركتها عن الصراط المستقيم .

بل إن عالماً مثل فايمان في الولايات المتحدة حاز جائزة نوبل في العلوم لقدرته على تعريف الصراط المستقيم في ميكانيكا الكونتم QUANTUM MECHANICS إن فكرة الصراط المستقيم فكرة قرآنية بحتة ، ونحن ندعو في كل صلاة أن يهدينا ربنا الصراط المستقيم ولأننا مخيرون غير مقهورين فإننا في حاجة دائبة لأن نحاول التعرف والسير على الصراط

المستقيم . و بقدر تعرفنا عليه وسيرنا في دروبه يتحقق للإنسان ما يرضيه عن ربه وما يرضي الله عنه . أما الكائنات الأخرى غير المخيرة فقد هديت صراطها المستقيم تتوخاه في حركتها الكونية (**قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**) (سورة طه الآية : ٥٠)

ومهما كانت دقة القوانين التي بين أيدينا و عبقريتها في وصف الطبيعة المحيطة فإن تطبيقها شيء آخر تماماً . فمثلاً بعد أن تعرف العلماء في نهاية القرن الماضي و أوائل هذا القرن على القوانين الحاكمة لحركة الموائع ، حاولوا تطبيقها على حركة الهواء حول الأجسام ولأن هذه المعادلات لا يمكن إيجاد حلول لها إذا أدخلنا في اعتبارنا كل ثوابتها و متغيراتها فإن العلماء يلجأون عادة إلى إهمال بعض الثوابت على أمل أن تصبح المعادلات أكثر يسراً . وفي حالتنا هذه رأى العلماء إهمال ثابت اللزوجة و الذي يظهر في المعادلات ، وكانت النتيجة أن الحل الناتج بعد إهمال عامل اللزوجة ينبيء بحقيقة غريبة .. ألا وهي : أن سريان الهواء حول الأجسام لا يؤدي إلى قوة رفع لها وأن قوة الرفع تساوي صفراً .

وظل العلماء على هذا الوهم الخاطيء إلى أن استطاع إخوان رايت في أمريكا وهما أصحاب ورشة دراجات لا صلة لهما بديناميكا الموائع أن يبنيا طائرة ويرتفعا بها في الهواء بتأثير قوة الرفع الذي ظن الواهمون من العلماء أنها صفر.

وبعدها عاد العلماء يبحثون في وهمهم واكتشفوا أنهم لا يمكن إهمال

اللزوجة في طبقة جدارية حول الجسم ، وعندما فهموا ذلك استطاعوا أن يكتشفوا أن هناك قوة رفع واكتشفوا كذلك مقدارها وما زال تعظيمها هو الشغل الشاغل لعلماء الطيران حتى اليوم .

و الحقيقة أن صعوبة إيجاد حلول للمعادلات الفيزيقية و الهندسية والاضطرار لعمل تقريبات وإهمال معاملات أصبح فناً عملياً هندسياً يتسابق فيه كل الباحثين في أرجاء العالم وأصبح هناك متخصصون في تطبيقات بعينها ؛ تطبيقات محددة بحدود ما أهملت وما قربت ، ومن ثم أصبحت هناك نتائج في كل العلوم معروفة حدودها بحيث لا تطبق إلا في المجال الذي يصلح لها و تصلح له .

ولا تثريب على الإنسانية فيما اختطت لنفسها من مسار يمكن أن نلخصه كما يلي ..

١ – دراسة الطبيعة المحيطة عن طريق التجربة الدؤوبة .

٢ – تجميع نتائج التجارب ومحاولة الخروج بقانون جامع يصف الظاهرة وصفاً مبيناً موضحين أن ذلك كله في ظل أدوات للقياس التجريبي والقياس العقلي خاضعة للدقة البشرية في ذلك الحين .

٣ ـ استخدام القوانين الغيبية الحاكمة في وصف ديناميات التغيير في التطبيقات المختلفة ومراجعة هذه الغيبيات من وقت بخر في ظل نجاحها أو إخفاقها في وصف ديناميات الطبيعة.

و الحقيقة التاريخية هي أن الحضارة الإسلامية مضت مزودة بفهم خاص

للطبيعة المحيطة و لطرائق التفاعل معها وهو ما أدى بعلماء المسلمين ان يبتدعوا المنهج التجريبي وأن تلتقطه بعد ذلك أوربا وتنسبه إلى العالم بيكون، وما كان العالم بيكون الا نتاجاً علمياً للحضارة الإسلامية[1].

إن المسلم مطالب بالمنهج العلمي التجريبي عقيدياً ، فقي القرآن يأمره ربه (**ولا تقف مالیس لك به علم ...إن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**) (سورة الاسراء الآية ٣٦) فالسمع والبصر مسئولان عن التجارب الحسية و الفؤاد مسئول عن التجارب النفسية والوجدانية والإلهامية .

ومع ذلك فإن منهج البحث في الحضارة الإسلامية السابقة واللاحقة بإذن الله يختلف في عناصر جوهرية أهمها :

---

(١) إننا نجد آثار الهدي القرآني واضحة بينة في بناء العقلية الإسلامية التي شادت الحضارة العظيمة في الماضي ، وقد سجلوا ذلك في أعمالهم المكتوبة حيث توصلوا إلى أصول العلم التجريبي استهداء بآيات الكتاب العزيز . ولنقرأ على سبيل المثال الرسالة التي كتبها حجة الإسلام الإمام الغزالي منذ أكثر من عشرة قرون بعنوان «القسطاس المستقيم» . ففيها ناقش الأسس المنهجية للمعرفة التجريبية واستخرج قواعد العلم التجريبي من آيات القرآن الكريم وجمعها تحت اسم «القسطاس المستقيم» وقصد به الموازين الثلاثة التي أنزلها الله في كتابه وعلم أنبياءه الوزن بها للوصول إلى المعرفة الحقة وهي ميزان التعادل وميزان التلازم وميزان التعاند .. وفكرة «الصراط المستقيم» في العلم التجريبي تقترب كثيراً من فكرة الإمام الغزالي المنهجية في المجال نفسه وهي التي أطلق عليها القسطاس المستقيم .

١ – النظرة إلى العلوم الكونية من حولنا : فبينما ينظر إليها الغرب كغريم ينبغي قهره و السيطرة عليه ننظرنحن إليها كعوالم صديقة ، تسبح لله وتكبره ، ولا نتفاعل معها إلا بحق . ومعالم هذا الحق هي :

(وجه الله ـ الرحمة ـ القصد والاقتصاد ـ النفع العام ـ العلم بسنن الله في الوجود) .

٢ – إن خزائن السماوات والأرض ليست ملكاً لجيلنا وإنما هي ملك لكل الأجيال من بعدنا ، فالنفع الذي نبتغيه ليس نفع هذا الجيل وإنما نفع الذريات التي تأتي حتى يوم القيامة .. ومن ثم فإن العلم الذي يؤدي إلى نفاذ وتدمار هذه الخزائن علم يجب أن يراجع .

٣ ـ ليس كل بحث نحن قادرون على القيام به نمضي فيه . ذلك أن هناك بحوثاً تدمر البيئة والناس ، أي ناس ... ولذلك ينبغي الإقلاع عن كل بحث فيه ضرر لأنفسنا وضرر على غيرنا .. فلا ضرر ولا ضرار ـ أي أن البحوث التي لا يعرف قدر ضررها يمكن إنجازها على مستوى صغير جداً ثم نكبر في تعاملنا معها حتى يتبين لنا وجه الحق فيها . أما ما تفعله الدول الكبرى من بحوث في صحاري المستضعفين وفي المحيطات تلوث البيئة وتقتل بها الإنسان فنحن ضدها .

٤ – إن الاستمتاع بالطيبات من الرزق في الإسلام هو استمتاع لا يؤدي إلى إفساد الأرض والسماوات ، أرض كل الناس وسماء كل الناس ،

ولعل النظرة الاستمتاعية الإسلامية سوف تغني الإنسان عن كثير من إفساده في الأرض [1].

ونؤكد مرة أخرى أننا مع الحضارة الغربية فيما ورثته عنا من منهج تجريبي ولكننا نختلف في بعض العناصر التي تعطي الحكمة للباحثين فلا يكونون عبثيين في توجهاتهم كما يقول القرآن (**أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين**) (سورة الشعراء الآيات ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠).

وكلمة أخيرة عن وضع علمائنا العرب و المناط بهم الخروج بالأمة الآن من كبوتها و بعثها علمياً وحضارياً .

---

(١) في سورة الرعد يقول الله تبارك وتعالي (أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبدٌ مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) (سورة الرعد .. الآية ١٧) . إنني كلما قرأت هذ الآية أقف طويلاً عند قوله (ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله) أي أن الاستمتاع الذي توقد له النيران وتنفق عليه من خزائن الطاقة هو زبد يذهب جفاءً .
إنني أشعر أن هذه الآية الكريمة توجهنا إلى الاستمتاع الطبيعي بجمال الكون المحيط وبما تملكه النفوس الخيرة من قدرات على الصعود إلى آفاق الرضا الإلهي الرحيبة .. وهل أغنت عنا طاقتنا التي أحرقناها إبتغاء الحلي والمتاع ؟ وهل سعد الإنسان شرقاً أو غرباً بما أضرم من نيران وأعد من حلي ومتاع ؟

أحسب أنهم مازالوا تحت الصفر حضارياً فلا هم تذكروا مناهج السلف ولا هم تمسكوا بالخير في مناهج الخلف ، ومازالوا لا يحسنون هذا ولا ذاك مرتجفين أفئدتهم هواء .

أما كيف يخرجون مما هم فيه ... فلذلك حديث آخر.

الفصل الثالث

التعليم والبطالة

تمهيد

قلبت في أوراق كتبتها من قبل عن التعليم في لقاءات متفرقة ورأيت أن أعيد بعض ما كتبت من قبل في هذه المقدمة قبل أن أسهب في عرض قضية التعليم والبطالة وأقترح بعض الحلول .

قلت مرة أنني أعرف صاحب أرض يرفض تعيين أحد من السادة المهندسين الزراعيين الذين ملأنا بهم السهل والوادي ، ويفضل عليهم شاباً لا يقرأ ولا يكتب ولكنه تعلم كيف يزرع ، وتعلم كيف يدير ويصون ماكينة المياه ، وتعلم كيف يقود ويصون الجرار الزراعي . وكان هذا التعليم كله في مدرسة الحقل ؛ أقصد مدرسة العمل من صغره صبياً في المـــزرعة . هذا الشاب لا يشكو فاقة ... لقد تزوج صغيراً ويدخر من مرتبه وينفق على بعض أهله ، بينما من هم في سنه يضطجعون على الأرائك في قاهرة المعز يأكلون ويشربون ولا ينتجون ولا يستحون ، ثم يتحدثون في سياسة العالم وفي سياسة الكون ، ويشغبون على وزير الداخلية ويشغب عليهم وزير الداخلية.

إن هذا الشاب لا يعرف أين تقع نيكاراجوا ، ولا يعرف بالتأكيد عن الهند إلا أنه ليس هندياً ، يعيش هو وأمثاله ممن أخطأهم نظام التعليم الحالي في بحبوحة كريمة .. بحبوحة كنا نحارب الدولة في الأربعينيات إشفاقاً عليهم منها حيث كنا نظنها حينئذ معيشة ضنكاً .

إن هذا الشاب وأمثاله يسهمون فيما نسميه بتنمية البقاء والتي تتمثل في القدرة على العيش بعالم أشياء بسيط جداً يحقق الإكتفاء القانع بالاحتياجات الأساسية ولا يزيد .

وأول ما يلفت نظرنا هو أننا قبل خمسين عاماً كان نظامنا الحياتي قد استقرت أموره في إطار تنمية البقاء وما تبعها واستقر معها من نظام تعليمي وتدريبي فمنظومة التعليم والتدريب حينئذ لم تكن منظومة حكومية بأسرها ، فآلاف الورش تخرج آلاف العمال الذين يصنعون لنا كل ما قنعنا به من احتياجات ، وآلاف الكتاتيب تدفع بملايين إلى الحقول لتصنع طعامنا ، وتدفع ببعض مئات أو آلاف إلى التعليم الحكومي أو الأزهري حيث تتكون طبقات من الوعاظ والقضاة والإداريين والفنيين .

والآن أسرت كل هذه الملايين في قبضة التعليم العام ، فققدت الحرف والحقول كل الملايين المنتجة ، والحقيقة أن التعليم العام دفع بها ومازال يدفع بها إلى الشارع حيث لا تستطيع أن تطعم نفسها ولا تصنع ثيابها ولا حتى أن تدافع عن نفسها . ومن الغريب ونحن على أبواب كارثة محققة في الشراب والطعام والإسكان أننا ما زلنا نصر على الأسر من غير تمهين !

ومن الغريب أن أمة هذا حال شبابها تغرق نفسها في حياة مترفة . فهي تأكل كأسود الغابة ، وتشرب كأن أنهار الدنيا تصب في زيرها ، وتلبس الحرير والقطن طويل التيلة ، وتعين لنفسها وزيراً للترفيه وتطلق يده في أدوات العصر من إذاعة وتليفزيون يدغدغ عواطف الناس آناء الليل وأطراف النهار . هذه الأمة لا أمل في تجاوزها لنقلة الصفر .. بل هناك احتمال للتقهقر إلى ما وراء الصفر

التعليم والتنمية

لقد أصبحت ضرورة ارتباط المنظومة التعليمية بالمنظومة التنموية أمراً بالغ الأهمية وهو نقطة الانطلاق في أي عملية للإصلاح .

وللأسف فإننا نفتقد أجهزة الربط بين منظوماتنا المختلفة ، كما نفتقد في تخطيطنا لمنظوماتنا المختلفة إلى منهج علمي متحضر يعتمد على الطريقة النظمية والتي تعتمد بدورها على الفكر الأوّاب . إن أعظم أداة إصلاحية يستخدمها الدين على مستوى الفرد والجماعة هي منهج الأوابة ذلك المنهج الذي يقوم على قياس الواقع ومقارنته بما هو مرجو ومحاولة إلغاء هذا الزيغ بين الواقع والمرجو بطريقة مثلى .

وفي هذا السياق لن أتعرض لتصميم المنظومات المختلفة بقدر محاولتي طرح العلاقة بين منظومتي التعليم والتنمية محاولاً أن أصل إلى بعض ما نريد من إصلاح في قضية التعليم .

ولعلنا نلخص طيف التنمية المرجو في ثلاثة عناصر أساسية :

١ – تنمية البقاء .

٢ – تنمية النماء .

٣ – تنمية السبق .

وسوف يستتبع ذلك أيضاً طيفاً تعليمياً فيكون عندنا تعليم للبقاء وتعليم للنماء وتعليم للسبق .

والملاحظة الأولى التي أحب أن أصرف إليها الانتباه هي أن الطاقة البشرية سوف تتوزعها أنواع التنمية بنسب مختلفة ، فالنسبة الكبرى تعمل في خريطة أعمال تنمية البقاء ثم تليها تنمية النماء ثم تنمية السبق .

تنمية البقاء

ونعني بها الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية وعزائم الرجال من أجل تحقيق اكتفاء كريم في متطلبات الحياة الأساسية من طعام وشراب وكساء ، واضعين نصب أعيننا طهـــارة البيئة من حولنا والقصد والاقتصـاد في كل شيء .

وفي هذا النوع من التنمية يُخطط عالم الأشياء بحيث يحقق العيشة الكريمة وبحيث يصنع أغلبـــه أن لم يكن كله بأيدي الناس ، مقللين ما استطعنا من الميكنة .

ما طبيعة الأعمال في هذا النوع من التنمية وما طبيعة التعليم الذي يصاحبها ؟ وللإجابـــة على ذلك حسب مفهومنا لتنمية البقاء نضرب المثال التالي :

في منطقة زراعية يتوفر فيها الماء والأرض الصالحة يجب أن نرسم خريطة الأعمال المطلوبة لتحقيق تنمية البقاء سواء كانت أعمالاً زراعية أو تصنيع منتجات زراعية أو خدمات زراعية أو خدمات عامة أو تربية حيوانية .. وحينئذ نصمم مناهج التعليم بحيث تعطيها بعداً بيئياً يعين الطالب أثناء دراسته على أن يتفاعل مع بيئته الزراعية تفاعلاً مثمراً . وما أن يبلغ الطالب السادسة عشرة حتى يكون قد امتهن مهنة هو قادر عليها ، فإن شاء أن يكمل دراسته في نفس ميدانه وكان عليها قادراً مادياً وعلمياً فيبقى أن توفر له الفرصة . وإن شاء أن يمضي في الحياة العلمية بضع سنين يجمع فيها خبره علمية فلا بأس ويستطيع أن يعود متى شاء للدراسة وسوف نعينه بمعينات سمعية وبصرية وبالكتب في برامج تشبه الجامعة المفتوحة .

وبالطبع ستكون هناك منح من الدولة للمتفوقين ليكملوا دراساتهم العليا على نفقة الدولة متى شاءوا .

وبذلك يسهم الطالب في خريطة الأعمال الخاصة بتنمية البقاء فترة من حياته تطول أو تقصر حسب استعداده الفطري وهمته الحضارية بحيث يستطيع بعدها إن كان من المتميزين أن يكون له مكان في خريطة الأعمال الخاصة بتنمية النماء .

تنمية النماء :

ويتبنى هذا النوع من التنمية عالم أشياء من النوع السائد في الحضارة المعاصرة وخاصة الضروري منه مما يتعلق بوسائل الدفاع واستخراج كنوزنا المدفونة وتصنيعها . وما يستتبع ذلك من نظام تعليمي وتدريبي وبحثي ، ويكون

من ثمرات هذا الطريق نمو عالم الأشياء نمواً سرطانياً قد يضر الإنسان ، ومن ثم فإنه ينبغي تصميم منظومة تنمية النماء بحيث نحاول تلافي ما حدث في الغرب من تلوث في البيئة .

ورغم أن تنمية النماء إذا أحسن إعدادها قادرة على استيعاب كل أفراد الأمة في العمل إلا أننا في عالمنا البائس نتوجه إلى استيراد عالم الأشياء دون أن نصنعه فتضيع علينا فرصة العمر في عملية التعليم والتدريب .

والأصل أن لا نتبنى عالم أشيـاء نحن غير قادرين على صناعته .. وكذلك لا ينبغي أن نتبنى خدمات يصنعها لنا غيرنا .

ففي تنمية النماء ينبغي أن يكون معدل النمو في عالم أشيائنا أبطأ من تقدمنا العلمي والتقني إلا في حالات الضرورة القصوى والتي ينبغي أن لا تزيد عن نسبة ضئيلة تتجه معظمها إلى قضايا الدفاع .

وتستطيع برامج تنمية النماء أن تعمل على تطوير آليات تنمية البقاء من خلال البحوث المتقدمة التي تهتم بتطوير الوسائل المستخدمة وإبداع طرائق جديدة لترشيد الطاقة وتحسين الأنواع والقضاء على المعوقات والأمراض وكذلك عمليات التكامل بين الأنشطة المختلفة في تنمية البقاء . فمثلاً تستطيع البرامج المتقدمة في تنمية النماء أن تعمل على تصميم طواحين هوائية مناسبة لرفع المياه وتوليد الكهرباء بحيث يمكن تصنيعها في ورش صغيرة مما يتدرج في تنمية البقاء . كما يمكن استنباط أنواع جديدة من السلالات يدرب عليها المزارعون . كما يمكن عمل بحوث عن طرائق بسيطة لتصنيع الطوب من طفلة

متوفرة وتصميم منزل قروي مناسب . كما يمكن تطوير الآلات المستخدمة في الزراعة .... الخ

كل ذلك وغيره لا يمكن القيام به إلا من خلال منظومة عملية بحثية لا يمكن توافرها إلا من خلال نوع متقدم من التنمية وما يستتبع ذلك من عملية تعليمية وتدريبية تستدعي برامج جدة في الجامعات سواء في مرحلة البكالوريوس أو الدراسات العليا .

نلخص فنقول : إن مهمة تنمية النماء هو التحسين المستمر لآليات تنمية البقاء بحيث تظل مبقية على طهارة البيئة والتشغيل الأمثل لطاقات البشر مع العمل على الحد من تخليق عوالم أشياء توفيهية قدر الإمكان وكذلك على إنجاز كل متطلبات عالم الأشياء الخاص بالدفاع .

تنمية السبق

ونعني بها في مثل ظروفنا أن علينا أن نختار لأنفسنا بعض الميادين التي نتسابق فيها والتي نستطيع أن ننجز فيها شيئاً وخاصة أنه تربطنا بالشعوب العربية والإسلامية رابطة خاصة تجعل نمونا نموهم وسبقنا سبقهم . ومن ثم يصبح التلاحم قضية مصيرية . فإذا ضاع هذا التلاحم فإن ذلك يعني فشلاً ذريعاً في ميدان السياسة ينبغي أن نعمل على إزالته فنحن نستطيع أن نسبق في ميادين ثقافية ، ونستطيع أن نسبق في ميادين زراعية ، ونستطيع أن نسبق في ميادين سياحية ، ونستطيع أن نسبق في ميادين تكنولوجية ، والقضية هي أن ننظر إلى الخريطة الكاملة لكل ما نستطيع أن ندخل فيه سباقاً ونبدأ بتدعيمه ببرامج تعليمية وتدريبية وتقنية .

حول أدوات التنمية

ونود في هذا المقام أن نقدم بعض الأفكار الأساسية حول أدوات التنمية والقضاء على مشكلة البطالة بطريقة عملية وأهم هذه الوسائل :« المدرسة الشاملة وتقنية التعليم » ونعني بالمدرسة الشاملة تلك التي نسمح فيها بقدر من الحرية الدراسية فيما يتعلق بالمواد التقنية وكميتها مقارنة بالمواد الإنسانية الأخرى . والإضافات التقنية سوف تتلون بالبيئة المحيطة . ولتحقيق هذه الإضافات لابد من مشروع لتوصيف الحرف والمهارات توصيفاً يتناسب مع قدرات الطالب وينمو معه .

فمثلاً يمكن توصيف مهارات السباكة لطالب الابتدائي بحيث تصبح عنده القدرة على إصلاح حنفيات البيت ، ثم نزيد الجرعة في الإعدادي حيث يصبح قادراً على تركيب سباكة البيت ثم نزيد الجرعة في الثانوي حيث يصبح هذا الطالب قادراً على تركيب شبكات معقدة .

وعملية توصيف الحرف والمهارات البيئية يمكن أن تصاحبها صناديق الحرف والهوايات التي إن عجزت الدولة عن توفيرها فيمكن للطلبة شراؤها والتدرب عليها في البيت والمدرسة .

وفي مدرسة ساحلية مثلاً يمكن أن تكون الإضافة التقنية متعلقة بصيد الأسماك وحفظها وتعليبها وفي بناء القوارب وفي صناعة أدوات الصيد وما تستلزمه الصناعات السمكية .

وتنظيمياً يمكن للإدارات التعليمية أن تضطلع بوضع المناهج التقنية في

منطقتها بما يتناسب مع بيئتها الخاصة ويبقى بعد ذلك البعد الثقافي والحضاري في العملية التعليمية الذي ينبغي أن تقوم عليه وزارة التعليم حتى تضمن وحدة الأمة الثقافية والحضارية وذلك من خلال الآتي :

- وضع خريطة لعالم أشياء مطلوب .
- وتأتي جهة ما في وزارة الصناعة لتقوم بترجمة هذه الخريطة إلى مجموعة من المشاريع توزع على أساتذة الجامعات والعاملين في مراكز البحوث الصناعية (غير الموجودة الآن)
- ترتبط بهذه المشروعات مجموعات مختلفة تعمل على تطويرها وتشرك طلابها معها في المناهج والمشاريع والوسائل .
- من أجل ذلك يجب العمل على تقنية التعليم بحيث يزاد الجزء التقني ثم يليه الجزء التصميمي ثم يليه الجزء التحليلي بنسب مناسبة لأوضاعنا الخاصة في هذه المرحلة

فمثلاً « مطلوب مصاعد كهربائية » ولكن دورنا الآن في هذه المصانع لا يتعدى صنع الكبائن وكل شيء آخر مستورد .. تصوروا أننا نصنع جهاز التحكم وجميع المجسات وأننا نصنع صندوق التروس والموتور .. تصوروا كمية البحوث والمشاريع وما يتفرع عنها من أعمال للمهندسين والفنيين والعمال .

إننا سنضرب الرقم الذي يعمل الآن على الأقل في عشرة

والأمر ليس صعباً ، لقد قمت بتجربة في قسم هندسة الطيران وصنعنا

جهازاً للتحكم في المصاعد تكلف ٣٠ جنيهاً مصرياً بينما يتكلف مثيله من سبعة آلاف جنيه إلى عشرة آلاف جنيه .

ما الذي يمنع أن نفعل ذلك في كل شيء ، أعتقد أن هناك غياباً كاملاً للمنظومة البشرية التي تسيطر على صنع القرار من أول الاختيار لعالم الأشياء مروراً بترجمته إلى مجموعة من المشاريع العلمية والتطويرية وانتهاء بعمليات التصنيع المختلفة .

وتســـــال أين في دولتنا مثل هذه المنظومة ؟ فلا تجد لها أثـــراً ..

وإلا فما الذي ينقصنا لنتوزع فيما بيننا الأعمال العلمية والتطويرية والتصنيعية لصنع غسالة متفوقة ؟ وما الذي ينقصنا لنفعل نفس الشيء في كل مفردات عالم أشيائنا المرجو إبتداء من قلم نكتب به إلى صاروخ ندفع به الأذى عن أنفسنا ؟

إن برامج التعليم في جامعاتنا جيدة بكل المقاييس ولا ينقصنا إلا أن نعيد النظر في النسب المثلى بين البعد التقني والبعد التصميمي والبعد التحليلي . وهي لن تفعل ذلك إلا إذا ارتبط أساتذتها بمشاريع قومية هادفة تحددها جهة حاكمة لعالم أشيائنا كما أسلفت . حينئذ سنجد الجامعات خلايا نحل : أساتذة وطلاباً وباحثين .

ويكمل الحلقة في الجامعة أن نطور نظام الترقيات لأساتذتنا ونجعل إنجاز البحوث المتطورة في إطار المشاريع القومية أمراً ضرورياً للترقيات ولا يتم بدونه .

ويكمل هذه الحلقات أيضاً نظام جديد للابتعاث نبتعث فيه الحاصلين على الدكتوراة من الجامعات المصرية لمدد قصيرة يتقصون فيه التقدم التقني والعلمي في ميادينهم من غير تضييع للوقت في مناهج وامتحانات نحن عليها قادرون .

إن الوضع الحالي في مصانعنا مؤسف للغاية ، فهي مصانع مجهزة تماماً من الخارج ، وليست فيها أجهزة تطوير إلا قليلاً وقليلاً جداً . ولإصلاح هذا الوضع فإننا نقترح الآتي انطلاقاً من مفهومنا لتنمية النماء :

١- وضع خريطة لعالم الأشياء المرتبط بتنمية النماء .

٢ - ترجمة هذه الخريطة لمجموعات من المكونات الأساسية .

٣ - صياغة مجموعة من المشاريع وتوزيعها على الجامعات ومراكز البحوث الصناعية إن وجدت لتطوير هذه المكونات في نموذج هندسي .

٤ - عمل مشاريع أخرى لتحويل النماذج الهندسية إلى نماذج صناعية .

٥ - الإتصال بالمصانع التي تستورد هذه المكونات لمنع الاستيراد واستخدام النموذج الجديد بعد تصنيعه .

٦ - عمل نظام فعال لمتابعة نجاح المنتج الجديد وتجميع كل المعلومات عن مدى تحقيقه للغرض الذي صنع من أجله .

٧ - متابعة التقدم العالمي في مثل هذا المنتج والاستفادة منه عن طريق إعادة الطرح في مشاريع جديدة من أجل التطوير إلى الأفضل .

فإذا آمنا بأهمية إنشاء هذه المنظومة لتعمل في مجالات الهندسة ، فلا مانع أن تتكون منظومات أخرى تقوم على نفس الأهداف في مجالات أخرى مع التحذير الشديد بعدم خلط هذه المنظومات بعضها مع بعض . ذلك أن طبيعة مشاريع الحشرات والآفات وما يستتبع ذلك من بحوث ومشاريع تختلف إختلافاً جذرياً عن طبيعة المشاريع الهندسية ، ولعل ذلك يكمن وراء عدم فاعلية أكاديمية البحث العلمي في حياتنا الصناعية .

لقد ناديت مراراً وتكراراً بحقيقة غائبة عن تخطيطنا التعليمي وهي أن العلم والتكنولوجيا كائنان متمايزان وغير متطابقين .

صحيح أن التكنولوجيا المتقدمة تحتاج إلى مناخ علمي متقدم ، ولكن يظل تعليم التكنولوجيا متمايزاً عن تعليم العلوم . ومن ثم فإن الاعتراف بهذه الحقيقة الهامة سوف يدفعنا إن أردنا أن نتقدم أن نمايز بين العنصر التقني في التعليم والعنصر التحليلي والتصميمي .

ومن أجل ذلك ينبغي أن يعاد تصميم المناهج في كليات الهندسة بحيث يدخل العنصر التقني ومن ورائه العنصر التصميمي ومن خلفهما العنصر التحليلي في نسب مدروسة من شأنها أن تربط الجامعة بالصناعة وتنتهي بخريج قادر على العطاء الصناعي .

والآن ما هو دور نقابة مهنية مثل نقابة المهندسين في إطار المنظومة التي اقترحنا فيما سلف ؟

إن دور النقابة يمكن أن نوجزه في الأمرين التاليين :

١ – تنظيم عمليات تقنية التعليم الهندسي فيما قبل الجامعة ... فهذه مهمة

تقنية ينبغي أن يفرغ لها تقنيون ... صحيح أننا نحتاج إلى تربويين وعلميين للتفاعل معنا في هذا الأمر ولكن الأصل هم التقنيون .

٢ - إنشاء هيئة لدراسة خريطة عالم الأشياء المرجو والإشراف على المهام السبعة التي لخصناها من قبل في هذا الموضوع .

وبعد :

فإن مشكلة البطالة في مصر هي في الحقيقة مشكلة غياب الفلسفة والمناهج للتنمية الراشدة سواء كانت تنمية البقاء أو تنمية النماء أو تنمية السبق . ومن ثم فنحن نتبنى عالم أشياء لم نخطط لصنعه ولم نتعلم لبنائه . إنها بصراحة غياب دور العقل - أي دور الدولة - والذي لخصناه مؤقتاً في منظومة مقترحة رأينا أن تتعاون من أجل قيامها النقابة ووزارة الصناعة .

وأقول في النهاية وعن تجربة .. إن مشروعاً واحداً مما نعطيه للأجانب في ميادين الصناعات الحربية أو المدنية يكفي كل علماء مصر ومهندسيهم وفوقهم مئات الألوف من العلماء والمهندسين العرب والمسلمين ولا يكادون يلاحقون العمل فيه ، ورحم الله إمامنا الشهيد حسن البنا الذي كان يردد دائماً قولته الحكيمة « إننا نستطيع أن نفعل الكثير لو أردنا »

الدولة الاسلامية ضرورة حضارية

تمهيد :

يهدف هذا البحث إلى أن يصل بالقارىء المتجرد المستنير إلى رؤية الضرورات الحضارية لقيام دولة للمسلمين ، تحفظ عقائدهم وتحمل قيمهم وتترجمها إلى نظم ومؤسسات ، وتعمل على الحفاظ على كينونتهم الحضارية ورعايتها حتى تكبر وتشب وتستوي على سوقها ككيان دولي ، يقيم العدل بين الناس ويصرف أبصار العباد إلى ربهم ، فيتطلعون إلى وجهه الكريم في كل شاردة وواردة من أعمالهم وأفكارهم ... ولقد صرفني إلى هذا البحث ما رأيته من بعض الأساتذة من إنكار لهذا الأمر ومحاولة مستميتة لصرف المسلمين عن هذا الهدف وتطمينهم بأن الإنسانية في سعيها لإقامة حكومة عالمية إنسانية سوف تصل لا محالة لأهداف المسلمين وما على المسلمين إلا أن ينتظروا هذه الحكومة العالمية الإنسانية ... ولقد رأيت أن هذا كله أباطيل وأسماء لتصرف المسلم المعاصر الذي أفاق منذ قليل من سباته عن غاياته العظمى ، ولتحكم حول رقبته القبضة الاستعمارية فتعيده إلى النوم أو إلى الموت .

إنني لأرجو أن يؤكد بحثنا هذا أهمية أن يسعى المسلمون إلى كيان دولي يحفظهم ، ويزودون عنه ويزود عنهم ، وسوف يلاحظ القارىء بلا ريب أننا

دافعنا عن وجهة نظرنا بالعقل لا بالنقل ، مدركين أن هناك فيضاً من الدفوع العظيمة التي تقوم على النقل وحده .

عندما أهدتني الزميلة الدكتورة نادية السنهوري ترجمة لرسالة أبيها طيب الله ثراه والتي تقدم بها للحصول على درجة الدكتوراة من جامعة باريس عام ١٩٢٦ ، رأيتني أعكف على قراءتها بضعة أيام متنقلاً بين أرجائها ... معجباً أشد الإعجاب بهذا الشاب الاسكندري المؤمن الذي حصل على شهادتين للدكتوراة في عامين متتاليين (١٩٢٥ ، ١٩٢٦) في موضوعين مختلفين لا علاقة لأحدهما بالآخر فالرسالة الأولى كان موضوعها : **القيود التعاقدية على حرية العمل في القضاء الانجليزي** ، والرسالة الثانية كان موضوعها : **نظرية الخلافة** . فعندما انهارت آخر معاقل الخلافة ممثلة في الدولة العثمانية كانت هناك ردود أفعال متباينة لهذا الانهيار . فبعضهم (والشيخ على عبد الرازق على رأسهم) رأى أنه لاحاجة بالمسلمين لدولة الخلافة ، ولا لأي دولة وأن الإسلام كعقيدة وأخلاق وقيم لا يحتاج إلى قيام دولة ، ومن ثم فإن المسلمين غير مطالبين بالسعي لقيام هذه الدولة . أما البعض الآخر وعلى رأسهم العلامة السنهوري رحمة الله عليه ، فقد أدرك أن الإسلام كعقيدة وأخلاق وقيم لا يمكن أن يبقى من غير دولة تحميه وتحمي المؤمنين به ... دولة تقيم نظمها الحياتية على هدي منه .

وقد أدرك السنهوري أن الاستعمار العالمي سيقف عائقاً دون قيام دولة إسلامية ، سواء على مستوى الوحدات الاقليمية ، أو على مستوى العالم أجمع فأعمل ذهنه لوضع تصور للخروج والتفلت من غوائل الاستعمار ، وتحدث عن

وحدة الأمة ووحدة الدولة ، وبالطبع فإن وحدة الدولة تحتاج إلى وحدة الأمة كما أن وحدة الأمة تحتاج لبقائها وحدة الدولة .

وبما أن العوائق تحول دون وحدة الدولة الآن ، فعلى الأقل أن نبدأ من وحدة الأمة من خلال برنامج لتوحيد الأمة ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ما وسعنا الجهد وما استطعنا ، تفلتاً من غوائل الاستعمار .

ولقد قدر لي أن أبحث في الموضوع من زاوية أخرى تختلف عن المناهج الأخرى في البحث ... زاوية الضرورة الحضارية لقيام دولة إسلامية أو قيام الخلافة . ولقد سجلت ذلك في كتابين ، ثغرة في الطريق المسدود (وشاركني فيه الدكتور محمود سفر) ومقدمات في البعث الحضاري .

صحيح أننا لم نطرح المسألة بهذه الكيفية من قبل ، ولكن عناصر البرهان قائمة جميعها وإن كانت مبعثرة في الكتابين من أجل ذلك رأيت أن أجمع البراهين على ضرورة قيام دولة إسلامية ، وأضعها جميعاً في نظرية موحدة في هذا البحث والله من وراء القصد .

تحديات البناء

يجد المسلم نفسه دائماً في مجابهة مجموعة من التحديات التي ينبغي أن يواجهها ، تحديات على مستوى الفرد وتحديات على مستوى الجماعة . فعلى مستوى الفرد يريد هذا المسلم أن يصل إلى اليقين بربه وما أنزل من كتاب ، وأن يترجم هذا اليقين إلى خلق وسلوك ونور يسعى بين يديه ... وعلى مستوى الجماعة تجد الجماعة نفسها أمام أربع مهام تحدد معنى التحدي :

- شحذ الفعالية الروحية للأمة .

- استيعاب حضارة العصر .
- تبني النظم المعاصرة أو إبداع البدائل .
- القدرة على حماية المنجزات الحضارية .(١)

ويحتاج إنجاز التحدي الفردي إلى بيئة صديقة ، تتهيأ من خلال إنجاز التحدي الجماعي ... كما أن إنجاز التحدي الجماعي يحتاج إلى بيئة نفسية ينجزها التحدي الفردي .

وفي محاولتنا إثبات أن الخلافة ضرورة حضارية سنكتفي بإثبات أن عنصراً واحداً من عناصر التحدي الحضاري على مستوى الجماعة - شحذ الفعالية الروحية للأمة - يتطلب لإنجازه قيام الدولة الاسلامية .. رغم أن هذا العنصر قد يبدو أقل العناصر حاجة إلى قيام مثل هذه الدولة .

ولابد أن نؤكد أن طبيعة هذه الدولة ليست بالضرورة طبيعة تاريخية ، وإنما هي طبيعة قيمية . فإذا كان المسلمون الأوائل لم يستطيعوا أن يحققوا قيم الإسلام في السياسة إلا من خلال نظم تاريخية حيث خنقهم الوضع الحضاري العام السائد في الإنسانية حينئذ ، فإنه ربما نملك نحن ظروفاً حضارية إنسانية نستطيع من خلالها تحقيقاً أمثل لقيم الإسلام من خلال نظم أكثر فاعلية .

ولذلك فلا يظنن امرؤ عجول أن ما ندعو إليه هو الخلافة التاريخية ، ذلك أبعد ما يكون عن أذهاننا ... وإنما ندعو إلى دولة عصرية تحقق مبادىء

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول تلك المهام أنظر : **ثغرة في الطريق المسدود** (سيد دسوقي حسن - محمود سفر)

الإسلام وقيمه من خلال نظم عصرية ... دولة تعيد الأخلاق لعالم السياسة والاقتصاد والاجتماع بعد أن جردت الحضارة الغربية كل هذه النظم من الأخلاق .. دولة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتخرج الناس من ضيق الكفر إلى رحابة الإسلام ، وتقيم بينهم موازين العدل والحرية وتطلقهم خفافاً إلى الله .

والعنصر الأول **«شحذ الفعالية الروحية للأمة»** هو الذي سيعطي الحضارة خصوصيتها وتفردها ، وسوف تكون مهمة القائمين على هذا العنصر أن يبثوا في أفئدة الناس عالم غيب حضارتنا المتمثل في عناصر الغيب وما نشأ عنها من قيم متناثرة في القرآن (١) ، وأن ينثروا أمامهم كيف تحققت هذه القيم في بشر صالحين يأكلون الطعام ويمشون على الأرض ، وأن يستثيروا في سويداء قلوبهم شوقاً دائماً إلى الله ، يبتغون وجه ربهم فيما يعمرون من أرض وما يقيمون من بنيان .

وسوف تحتاج مهمة شحذ الفاعلية الروحية للأمة عملاً دائباً من قبل أجهزة التربية والإعلام متمثلة في الدولة أو في جماعات الإصلاح فيها ، حيث تتكاتف الفنون والعلوم كوسائل لهذا الشحذ ، لتنافس وسائل الغير في محاولتها الدائبة لتخريب عقولنا وتحطيم نفوسنا .

وينبغي أن تنتهي مهمة الشحذ هذه بإنسان ذي همة حضارية وثاقب إصلاحي ، فهذا هو المنتج الذي ينبغي أن نحصل عليه من عمليات الشحذ

---

(١) انظر محاولتنا تفصيل هذا العالم الغيبي في كتابنا : مقدمات في البعث الحضاري .

المختلفة ، وإلا ينبغي علينا أن ننظر في مناهج الشحذ ووسائله ونصلح فيها حتى يتحقق ما نريد .

ونسأل هل يمكن رعاية خصوصيتنا الحضارية في مناخ حضاري مغاير ؟ أو هل المسلم غير مطالب أن يسعى لإقامة مجتمع ودولة تكون فيها أجهزة التربية والإعلام وتوجيهات الجماعات الإصلاحية كلها تصب في شحذ فعاليته الروحيـة؟

لقد عشنا في الغرب بضع سنين ، ورأينا كيف يسيطر «الطاغوت الاجتماعي» على الأفئدة والعقول ويقهرها قهراً عنيفاً متصلاً ويصم آذانها ، ويعمي عيونها أن تلتفت إلى صوت آخر ، أو أن تبصر طريقاً آخر . ولقد رأينا بأم أعيننا كيف يأكل هذا الطاغوت الاجتماعي أبناء الجاليات الإسلامية ، وغير الإسلامية ، فما يبقى منهم إلا عظاماً حضارية نخرة .

وربما استمسك بعض المهاجرين الجدد بشيء من خصوصيتهم الحضارية ولكن الأيام والطاغوت كفيلان أن يعملا على محو الذاكرة الحضارية ، رويداً رويداً عند هؤلاء الذين آثروا أن يندمجوا في مجتمعاتهم الجديدة اندماجاً كليـاً .

وفي جولة لي في الولايات المتحدة في مارس عام ١٩٨٩ تحدثت إلى كثير من الجاليات المسلمة هناك ، ورأيت الفزع يصرخ في وجوه النساء المسلمات خوفاً على أبنائهن وبناتهن من قهر هذا الطاغوت الاجتماعي الرهيب .. وإنهن ليفضلن العودة إلى بلادهن مؤثرات شظف العيش وغلظة الحياة مخافة أن يأكل الذئب المتربص بهم ما بقى من أخلاقيات وقيم .

ولم أعجب عندما التقيت ببعض الأخوة المسيحيين العرب فوجدت نفس الفزع والهلع ... ذلك أن عالم الغيب في الحضارة الأمريكية اليوم ابتعد كثيراً عن القيم الأخلاقية المسيحية تلك القيم التي مثلت نقطة بدئه الحضارية واستبدل بها عالماً آخر من القيم لا يمت للمسيحية بصلة وثيقة (انظر كتابنا : مقدمات في البعث الحضاري)

ونعود إلى السؤال :

ألا يحتاج شحذ الفعالية الروحية للأمة إلى دولة تقوم عليه وتوفر له إمكانياتها التربوية والإعلامية ؟

أم أننا مقتنعون أن نقيم بناءنا الروحي ونشكل عالم غيبه من خلال ما تفرضه علينا الحضارة الغربية القاهرة بأدوات إعلامها الرهيبة وعملائها المنتشرين ؟

ثم إن هذه الحضارة الغربية تمسك تقنياتها النافعة عنا إمساكاً شديداً ولا تدع لنا إلا صوراً زائفة للجانب الترفيهي من خلال الإعلام والمسلسلات الغربية .

وهي حضارة استعمارية على كل حال ، والذين يأملون أن تتحول إلى حضارة إنسانية تسعى لخير البشرية واهمون كل الوهم .

ولقد بدأت هذه الحضارة تشعر من خلال مفكريها وعلمائها أنها قد تجاوزت القصد في علاقاتها بالدين وأفرطت في استغلالها للطبيعة . وصيحات العلماء تتوالى هناك منذرة بخطر عظيم في عالم الأخلاق وفي عالم البيئة .

أذكر أنني سألت صديقي الأستاذ الدكتور / روبرت ماجين الأستاذ بجامعة

ستانفرد الأمريكية (عام ١٩٨٤) عن أي قيم يتحدثون عنها في برنامج (VTS) أي برنامج التفاعل بين القيم (VALUES) والتكنولوجيا (TECHNOLOGY) والمجتمع (SOCIETY) فقال لقد أنشأنا هذه الأقسام في كثير من الجامعات الأمريكية لتحاول أن تطور مجموعة من القيم (الدنيوية) تصلح أن تسود عالم الأخلاق بين الشباب في أمريكا ، وذلك أننا نشعر أن المجتمع يفتقد وجود قيم سائدة (PREVAILING VALUES) وتذكرت يومها قوله الرافعي : «لاثقة لي في متخلف لا دين له» ، وتذكرت أن الإيمان بالغيب هو حجر الأساس في بناء أخلاقي حقيقي ، وصدق الله العظيم : (

وإن تعجب فعجبٌ قولهم أإذا كنا تراباً أإنا لفي خلقٍ جديدٍ أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (سورة الرعد الآية : ٥)

وتذكرت كيف يقود الكفر بالغيب إلى الكفر بالله وإلى الدخول طواعية في أغلال الدنيا .. قيداً من بعد قيد ، ثم في الآخرة عذاب السعير .

وعود على بدء ... إذا كانت الحضارة الغربية تفتقد في وضعها الراهن القيم الروحية ، فأي أمل هذا الذي يأمله البعض عندنا في وصول الإنسانية إلى مجتمع عالمي يستطيع أن يعيش فيه المسلمون آمنين على عقائدهم وأخلاقهم ، ومن ثم فلا حاجة للمسلمين أن يسعوا لإقامة دولة تستمد قوة نبضها من شريعة الإسلام وتسعى لإقامة نظمها على هدي الإسلام !!

ولقد رأينا من خلال تحليلنا لقضية واحدة من قضايا التحدي الحضاري

الذي تواجهه الجماعة المسلمة (شحذ الفعالية الروحية للأمة) أن الجماعة المسلمة في حاجة إلى دولة ترعى هذه المهمة وتقوم عليها .

ثم إذا كان هناك أمل في حضارة إنسانية ، فلا نعرف غير الإسلام شريعة ربانية يصلح أن تقوم عليها هذه الحضارة .

والظاهرة الملفتة للأبصار أنه في تاريخ الإنسانية كانت دائماً تقوم دول كبرى في وقت واحد ليحدث التوازن بينها فلا يهلك الصغار . إلا في حالة الحضارة الإسلامية ، فقد كانت دولة الإسلام وحدها هي الكبرى .. فما أكلت الصغار ولا قهرت المساكين .. وكانت حقاً وصدقاً حضارة إنسانية .

لقد أثبتنا أن الدولة الإسلامية ضرورة حضارية للجماعة المسلمة ، وأداة إثباتنا هي تحقيق عنصر واحد من عناصر التحدي الحضاري (شحذ الفعالية الروحية) رغم أن هذا العنصر لا يبدو في ظاهره يحتاج لمثل هذه الدولة . فما بالنا بالعناصر الأخرى وهي كلها عناصر تحتاج لتحقيقها إلى دولة تنافس غيرها في شؤون الحياة وتحمي نفسها من بطش الآخرين ..

دولة في حجم القوى الكبرى القائمة اليوم حتى تستطيع أن تجاهدها لتقيم العدل وتحرم الظلم وترفع المنت عن المقهورين في أرجاء المعمورة ..دولة يتجمع فيها كل من يؤمن بعقيدة الإسلام أو بشريعته لتحمي الحق وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

والسعي لبناء هذه الدولة فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، فلن يبقى الإسلام كعقيدة وشريعة من غير دولة تحميه ، ودولة تقوم على مبادئه في عالم العقيدة وعالم القيم والشرائع سواء بسواء .

وإن إنكار هذا الفرض الحضاري هو أول الطريق لهدم أي أمل في بقاء الإسلام كعقيدة وشريعة ونظام واستبداله بلا شيء ... فأمة المسلمين اليوم أمة مقهورة تحتاج إلى بعث حضاري ، قوامه في مرحلته الأولى هو عمليات شحذ الفعالية الروحية للأمة ، فإذا خرج علينا من بين أيدينا ومن خلفنا من يقول لنا أن نظام الخلافة طارىء على الإسلام ، وأنه ينبغي على المسلمين أن ينسوا هذه الفكرة إلى الأبد وأنها من صنع شيطان اسمه الإسلام السياسي ...

أقول إذا خرج من بين أيدينا ومن خلفنا من يعظنا بهذا القول ويسرف في الموعظة وتحملها له أجهزة سيارة ، وتفتح له قاعات المحاضرات وصفحات الجرائد ، فإن ذلك ينبغي أن يزيدنا تمسكاً بالفكرة وإصراراً عليها .. فإن اعداءنا لا يريدون بنا إلا شراً ... وشراً مستطيراً .

بقيت كلمة أخيرة :

إننا في سعينا الدؤوب لإقامة الخلافة أو الدولة التي ترعى وتحمي عقائد الإسلام وقيمه وتقيم نظمها على هدي من هذه العقائد والقيم ، لا نصر على نظام تاريخي معين . وذلك أن محاولة المسلمين قبلنا لتحقيق نفس الهدف هي محاولة إنسانية يعتريها الخطأ والنسيان وتحيط بها الظروف الحضارية المختلفة والضغوط الدولية المتعددة ، فلا يبقى من هذه النظم إلا المثال والعبرة ، ويتجدد التحدي الحضاري كلما جاء جيل جديد فنحن لا نرث النظم ، وإنما نرث العقائد والقيم ، والتثبت من العقائد والقيم هو تحد على مستوى الفرد ، أما بناء الدولة فهو تحد على مستوى الجماعة .

ونحن نملك من وسائل الحضارة المعاصرة ما يعيننا على بناء نظم أكثر فعالية سواء في ميدان السياسة أو غيرها من النظم التي بناها أجدادنا .. ونحن لن نحاكم هؤلاء الأجداد اليوم بمقاييس العصر وإنما نحاكم أنفسنا

نحـن ... نحاكم الخاطئين والقاعدين والمثبطين الذين يقولون للذين نفروا للمهمة ارجعوا .. فمهما كان النقص في خلافة المسلمين الأوائل فإنها كانت بالنسبة إلى عصرها هدياً حضارياً ، وعاشت مئات السنين وكل ما حولها ظلام في ظلام .

صحيح أن شخوص الحاكمين فيما تلى الخلافة الراشدة لم يبلغ أبداً هذه الذروة العظيمة في تاريخ الإنسانية ممثلة في سيدنا رسول الله ص ومن تلاه من خلفائه الراشدين ، وذلك أن هؤلاء قد حققوا غاية الكمال في مبادىء الإسلام ، ونظم الدولة لم تكتمل بعد . فهل سيوجد في تاريخ البشرية مثال يوماً ما لقائد ينظم جيشه في معركة فاصلة ويخرج عن الصف جندي بسيط ، فيقول له سيد الخلق : استو يا سواد ويضربه بمقرعة ضرباً خفيفاً على بطنه فيقول سواد : أوجعتني يارســـول اللـــه ، فيقول له المصطفى : استقد مني يا سواد ... فلتقف المعركة الفاصلة وليخفت صوتها حتى يستقد سواد من قائد الجيش الأعلي .. وكلنا يعلم بقية القصة ... سواد يطالب رسول الله ص أن يظهر بطنه حتى يضربه وهي عارية معاملة بالمثل ، ورسول الله يستجيب وسواد يقبل بطن رسول الله ص ، ويقول ظننت أن هذا آخر عهدي بالدنيا فأردت أن تلمس شفتاي جسدك لعل الله يحرم جسدي على النار .

نعم إن عهد المصطفى ص وما تلاه من خلافة راشدة هو الحجة على البشرية إلى أن تقوم الساعة ، فهذا النبي والذين آمنوا معه استطاعوا أن يحققوا العدل ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، ويقهروا الظلم ويؤمنوا الناس على أموالهم وأنفسهم وعقائدهم وينطلقوا في أرجاء المعمورة يبنون دولة

الحق ويهدمون دول الظلم والجور ... كل ذلك بأدوات حضارية غاية في البساطة ونظم مدنية لم تتعقد عناصرها بعد .

نعم هذه حجة على الناس إلى أن تقوم الساعة ، وسيظل هذا المثال ساطعاً في عنان السماء لكل من يريد أن يسلك صراطاً مستقيماً ، وستظل محاولات المسلمين في كل عصر تقتبس من هذا المثل الرباني : محمد صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه : تقتبس بقدر محاولاتها الدؤوب وتوفيق الله لها . فهل ينكر بعد حديثنا هذا الحاجة الحضارية لنظام الخلافة أو الدولة الإسلامية إلا مكابر يحب الشقاق والمجادلة بغير حق أو زنديق بهائي ، يستبطن البهائية ويظهر الإسلام ، أو عميل استعماري يخشى أن تقوم للإسلام دولة تحمي قيم الحق وأخلاق الفضيلة ، وتعيد للسياسة أخلاق الإسلام بعد أن جردتها حضارات الغرب ودوله المستعمرة ... ولله الأمر من قبل ومن بعد .

ملاحظات حول دور الحركة الاسلامية

في البعث الحضاري

كنت أتفكر في ثقل المهمة الملقاة على الحركات الإصلاحية في عصرنا الحديث وأراها مهمة بالغة الصعوبة حيث لخصتها في جملة واحدة هي : «**المعاصرة بالإسلام تحت صليل السيوف**» وهو نفس المعنى الذي ترجمناه من قبل إلى عناصر أربعة [1] وهي :

١ – القدرة على شحذ الفعالية الاجتماعية في الأمة .

٢ – القدرة على استيعاب علوم الغرب وتكنولوجياته استيعاباً كاملاً .

٣ – القدرة على تبني نظم الحضارة المعاصرة أو إبداع البدائل .

٤ – القدرة على حماية المنجزات الحضارية للأمة .

وصليل السيوف الذي أشرت إليه هو صليل السيوف المشوقة فوق رقابنا من الداخل والخارج « تحرس تخلفنا » (بتعبير أخي محمد عمارة) وتحول دون تقدمنا فتزيد الإعاقة الحضارية ضراوة وشدة . وتذكرت طرفة تروى عن هذا المجاهد الذي يتحمل ما تنوء بحمله الجبال من العمل الجهادي الدائب ،

(١) راجع كتابنا بعنوان : ثغرة في الطريق المسدود

أخذته غفوة فرأى فيما يرى النائم أنه دخل الجنة ، وأنه قد خرج من الدنيا ، فوضع صاحبنا قدماً على قدم في سعادة بالغة واستلقى بظهره على أريكة تهتز به في نعيم مقيم ، ورفع يده شاكراً ربه : الحمد لله الذي أماتنا فعافانا مما نلقى من العناء في صفوف الحركة الإسلامية .

بيد أني تذكرت ظروف الرسالة المحمدية في مكة وما حولها من الأعراب ، فوجدت أن الانبعاث الحضاري في تلك الظروف كان معجزة خالدة بكل المقاييس ، وأن الإسلام قد جاءنا بمعجزتين : معجزة القرآن ومعجزة الانبعاث الحضاري في تلك الظروف المنحطة الصعبة التي لا تعادلها صعوبة انبعاثتنا بإذن الله في هذا العصر الحديث .

وأذكر أنني كتبت مرة أن مهمة أي حركة إصلاحية هي في بعث الهمة الحضارية وترشيد التوجه الإصلاحي .

والهمة الإصلاحية هي همة في ظلال الربانية ، والربانية عند الفرد تتمثل في المثلث الحضاري : العطاء ـ التقوى ـ التصديق بالحسنى .

ولا تثريب علينا أن نتعايش مع قوم آخرين ، ينبعثون من عقائد مغايرة ، مادمنا في النهاية سنحصل على إنسان متأهب للبناء . نحن ننبعث من مسجدنا وهم ينبعثون من بوابتهم الحضارية المختلفة ، فهناك الإسلام الحضاري الذي يسع الناس جميعاً في ظل كلمة سواء وهناك الإسلام العقيدي الذي يستكن في قلوب المسلمين وأفئدتهم وحدهم . وفي كثير من الأحيان يصبح القيد السياسي على حركة الناس الإصلاحية معوقاً للغاية ، بحيث تضيع جهود العاملين هباء . عندئذ يجدر بالحركة الإصلاحية أن تبعث همم

الناس لتحطيم هذا القيد والوصول إلى حالة الحرية التي ننعم فيها مع غيرنا بالحرية الإصلاحية . وهذا في حد ذاته هدف إصلاحي إسلامي ، كما أنه هدف لكل الشرفاء من الناس : إزالة العقبات والطواغيت من أجل حرية إصلاحية لكل الشرفاء من الناس .

ولابد أن نفرق بين ما هو مطلوب من الحركة الإسلامية وبين ما هو مطلوب من التيار الإسلامي . فالتيار الإسلامي هو جموع الناس الذين يحملون في قلوبهم أشواقاً إسلامية ويتمنون أن يروا الإسلام في حياتهم أخلاقاً وشريعة ونظاماً ، وإن كانوا غير منتظمين في حركات بعينها لأسباب متعددة . وهؤلاء هم مادة البناء الإسلامي في دروب الحياة المختلفة ، كما أنهم هم الغطاء الواقي من الضربات الاستعمارية للتحرك الإسلامي ، وينبغي على الحركة الإسلامية أن تتدثر بهم ، وتعمل على تحديد رؤيتهم الثقافية ، وتحملهم مسئولية البناء الإسلامي المستقبلي .

ونؤكد أن الحركة الإسلامية ليست قبيلة جديدة يحتمي في عصبيتها أصحابها ، وإنما هي مجموعة من المهام الواضحة التي تبحث عن رجال يقومون عليها ... رجال مدربون ومؤهلون .

وخير للحركة أن تلتقط ذوي الكفاءات العالية للقيام بمهامها من أن تكدس في صفوفها رجالاً تنوء بحملهم ، يعوقون مسيرتها أكثر مما يدفعونها بين الناس.

والحركة الإسلامية تبعث همم الناس وترشد توجههم الإصلاحي ليقوموا ببناء مجتمعهم ، فلن تقوم الحركة نيابة عن الناس ببناء هذه المجتمعات ، وإنما تستحث همم الناس للبناء وترشد خطوهم .

وفي تقديمي لكتاب الحركة الإسلامية في السودان لأخي الدكتور حسن الترابي كتبت كلاماً يتعلق بما نحن بصدده من أمور الحركة الإسلامية أرى أن أعيده هنا لأهميته :

فقد قلت في تلك المقدمة : أن كتاب الدكتور الترابي كتاب في التاريخ الشامل لانبثاق حركة حضارية إسلامية في السودان الحبيب منذ نشأتها في أوائل الخمسينات حتى عامنا هذا .. وهو تأريخ شامل لأنه يتضمن نمو الوسائل والمناهج والغايات من نظرية بسيطة في أوائل الخمسينات إلى نظام متراكب دقيق . ومن حركة صغيرة في مجتمع يموج بالأفكار العلمانية والتقليدية إلى حركة دولة . أو قل حركة تتهيأ لبناء دولة عصرية على أسس إسلامية خالصة .

وفي تلافيف هذه المرحلة المباركة تجد أن شمولية الفكرة الإسلامية كما أكدها فكر الإمام البنا وكما اعتنقتها الحركة الإسلامية في السودان لم تحُل دون أن تتميز الحركة في السودان بخصوصيات إبداعية في مجالات شتى من العمل الحركي سواء كان هذا العمل تربوياً أو حركياً أو اجتماعياً أو سياسياً ولا جدال أن المسار الذي اتخذته الحركة في السودان تأثر تأثراً بالغاً بطبيعة أهل السودان الثقافية والاجتماعية وبطبيعة السودان نفسه وما حقق في شئونه كلها من إنجازات شتى .

أقول هذا حتى لا يكون الدرس الذي نتعلمه من هذا الكتاب هو أن نحذو المثل حرفاً حرفاً ، حسبنا هنا أن ندرك قدر الحرية والفهم والإخلاص الذي كان يحدو قادة هذه الحركة وهم يقودونها في هذا المسار الطويل غير مقلدين

وغير تابعين لمسارات أخرى في بلاد أخرى تختلف ظروفها عن ظروف السودان اختلافاً بيناً . فالحركة الإسلامية في أي مكان تحاول أن تتخذ لنفسها المسار المناسب للتحدي المطروح مرحلياً ومحلياً ، كلما فرغت من مرحلة بدأت مرحلة أخرى .. من غير تقليد ولا اتباع لمسار أملته ظروف تحد آخر في مكان آخر . فالتحدي المطروح في بلد كأمريكا الشمالية يختلف تماماً عن التحدي المطروح في السودان ، وهذا بدوره يختلف عن التحدي المطروح في مصر .

ففي أمريكا الشمالية مثلاً تتخذ الحركة الإسلامية مساراً تربوياً روحياً حتى تحافظ على الأجيال المهاجرة وتفتح الطريق أمام الإسلام في قلوب الذين أنهكتهم حياتهم المادية . فالمسلم هناك لا ينهكه هَمُّ بناء دولة عصرية ولا يبحث في الوقت الحاضر عن البدائل التي يمكن أن تنبثق من عقائد الإسلام وقيمه وإنما يبحث عن نجاته في مجتمع ينتفخ بالقوة المادية القاهرة فوق رقاب الناس وفوق البيئة والعالم المحيط .

وفي بلد كمصر يمتلك كثيراً من المؤسسات المعاصرة ويتمتع ببنية أساسية معقولة لا تجد فكرة « الحركة الدولة » قبولاً عند جمهور المتصدين للعملية الإصلاحية ويرون بدلاً لها فكرة «طيف الحركات المتسقة»

فهناك حركة شحذ الفعالية الروحية للأمة وهي حركة : أعظم همها أن تصرف أبصار الأمة تلقاء الإسلام ، أو بمعنى آخر : تحجز الأمة لطريق الإسلام حتى لا تتفرق في سبل أخرى يحرص عليها أعداء الأمة في الداخل والخارج وهذه الحركات تحقق نجاحاً كبيراً في قتال التحلل الشخصي عند

الأفراد وتحول بينهم وبين الوقوع في مخالب الجنس والمخدرات ، وتحافظ لهم على كثير من السمت الإسلامي الفردي .

وهناك الحركة التربوية .. وهي حركة تحرص على تربية هؤلاء المحتجزين للإسلام على مناهج تضخ فيهم قدراً عظيماً من الهمة الحضارية والتوجه الإصلاحي .. بحيث يتخرج منها الإنسان وهو متأهب للبناء .. مزود بطاقة روحية عظيمة تعينه على كل ما يلقاه من شدة وعسر .

وهناك الحركة الفكرية .. حيث تتكون الجماعات الفكرية المتخصصة والتي تبحث عن قيم الإسلام الحاكمة في كل شئون الحياة .. ما ظهر من هذه القيم وما بطن .. هؤلاء إذن جماعات الإسلام القيمي ، والذي ينبغي على الحركة الإسلامية أن تحرص على توفير المناخ الملائم لنمو حركتهم . فهم في النهاية الذين سيعطون رجال السياسة المفاتيح الجديدة لبدائل النظم السائدة ، ومن غير جهدهم يصبح عمل السياسي عشوائياً لا يحمل في طياته أصالة الفكرة الإسلامية .

وهناك الحركة التنموية .. حيث تتكون الجماعات لخدمة مفاهيم التنمية الراشدة وتشجيع الوقوف عليها ، أو التقدم إلى المواقع العامة التي يمكن خدمة التنمية من خلالها سواء كانت نقابات أو هيئات عامة .

وأخيراً .. هناك الحركة السياسية .. حيث يتوجه كثير من القادرين على العمل السياسي إلى خوض غماره في ظل المنظومة الشرعية للدولة سواء كان ذلك بتكوين أحزاب أو عمل منتديات أو استخدام لأجهزة الإعلام الخاصة أو العامة .

أعود فأقول إنه في بلد كالسودان والذي واصلت فيه الحركة الإسلامية سيرتها حتى وصلت إلى الحركة الدولة ، أو الأمة بمسار يتفق مع ظروف السودان الحضارية ، يختلف الأمر عن المسار الذي اتخذته الحركة الإسلامية في مصر والذي يقترب من فكرة طيف الحركات المتسقة .

وسواء كان المسار سودانياً أو مصرياً فإنه ينبغي أن نميز بين ثلاثة أمور ولا نخلط بين مهامها هي :

ـ الحركة الإسلاميـة

ـ التيار الإسلامـي

ـ الأمـة

فالحركة الإسلامية هي هذا التنظيم الذي يحرص دائماً على صرف أبصار الأمة تلقاء الإسلام الشامل ، وهي التي تحفز همة التيار الإسلامي إلى العمل التربوي والعمل التنموي والعمل الفكري وكلاهما «الحركة» و«التيار» هما اللذان يدفعان « الأمة » إلى العمل السياسي والبناء الحضاري .

فليست مهمة الحركة الإسلامية الجماهيرية أن تضطلع هي بكل هذه المهام وتقتل نفسها من ثقل المهمة وضخامة التحدي ، ولكن مهمتها الأصلية هي صرف أبصار الناس تجاه القبلة ، وهذه مهمة ضخمة جداً تحتاج إلى عبقرية في الأداء وإخلاص شديد في العمل .

ولا أظن أن مهمة الحركة الإسلامية سوف تنتهي بوصول التيار الذي أنشأته إلى الحكم والسلطة ، وإنما تتحور وظائفها وتنتقل إلى طور جديد .. أهم خصائصه حفظ «النوعية» الإسلامية لحركة أهل السياسة الذين لا

يتمتعون بالوقت الكافي لتنظيم حركتهم مع المقاصد الشرعية ويحتاجون إلى حركة حضارية علمية من خلفهم تعينهم على ترشيد خطوهم

ملاحظات إضافية حول الجماعات الإصلاحية وأهم أنواعها

قلنا أنه يتوزع العمل الإصلاحي في الأمة جماعات متنوعة أهمها :

- جماعات شحذ الفعالية الاجتماعية .
- جماعات الإسلام القيمي أو الفكري .
- جماعات الإسلام المؤسسي أو السياسي .

فأما جماعات شحذ الفعالية الاجتماعية فينبغي أن تتركز جهودهم في ترسيخ الانتماء الإسلامي وإثارة توجهات الإنسان النفسية والعقلية والعاطفية . حتى يصبح متحفزاً للبناء . وينبغي أن تؤكد مناهج الإعداد على أن الانتماء للقيم التي ستعمل في مكان ما وزمان ما وليس الانتماء العنصري لجماعة أو مكان .

هل هناك مناهج مثلى لهذه الجماعات موجودة في الساحة ؟

الواقع أن الساحة تغص بمناهج كثيرة معظمها ناقص ومشوه ومن ثم تنتج دائماً تشوهات حضارية إلا أن منهج الأستاذ البنا في الإعداد كان أقرب المناهج للغاية المنشودة . وعلى كل حال يحتاج الأمر لبحوث مستمرة .

وأما جماعات الإسلام القيمي فتهتم باستخراج قيم الإسلام الحاكمة لكل النظم الحياتية وما يحدها من حدود وينظمها من ضوابط .

وهذه المهمة هي جوهر المهمة المنوطة بجماعة أولى الأمر حيث يشرفون على تنفيذها من خلال علماء الأمة وباحثيهم ثم يعملون بعد ذلك على ضخها في الأمة من خلال برامج شتى.

وأما جماعات الإسلام المؤسسي فتعمل على تصميم مؤسسات الدولة في إطار القيم الإسلامية الحاكمة والحدود والضوابط الإسلامية.

ولن يفلح هؤلاء قبل أن تفلح جماعات شحذ الفعالية الاجتماعية وجماعات الإسلام القيمي في تكوين مناخ سائد من القيم في صدور أعداد غفيرة من الرجال حيث تفرز هذه الأعداد الضخمة عباقرة النظم ومهندسي المؤسسات الاجتماعية وغالباً ماتحتاج النظم إلى تحديد وإصلاح لتعايش الظروف المتقلبة والأحوال المتغيرة ومن ثم فستظل هناك دائماً مهمة لجماعات الإسلام المؤسسي حيث تبدأ هذه المهمة بأعباء التصميم الأمثل للمؤسسات في ضوء القيم والحدود والضوابط الإسلامية ثم تؤول هذه المهمة إلى التحكم والمراقبة لهذه المؤسسات في ظل مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أهمية جماعات الإسلام القيمي

كثر الحديث عن دور الإسلام في الحياة وتنوعت آراء العباد بين معسكرين معسكر يرى أنه ينبغي للأمة أن تقيم حياتها على أسس مدنية بحتة وتترك للدين دوراً غير مفهوم في تنظيم علاقة الإنسان بربه.

ومعسكر يزعم أنه ينبغي لنا ونحن نقيم حياتنا أن نبنيها كاملة على هدى الإسلام، وأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان.

ويبدأ حوار بين المعسكرين :

أي إسلام تعنون ؟

الإسلام المؤسسي أم الإسلام القيمي ؟

وإذا كان الإسلام المؤسسي هو المعني بالصلاحية المطلقة لكل زمان ومكان فمؤسسات أي قرن من القرون الإسلامية الخالية ؟ ... وتضطرب الإجابات بين المعسكرين اضطراباً يختلط فيه سوء النية بالحماس الجاهل ونحن نرى أن الأمر يحتاج إلى وقفة موضوعية نستبين من خلالها دور الدين في الحياة ..

نحن نحتاج إلى جهد دائم في مؤسسات علمية لكشف هدي الإسلام في حياتنا جميعاً . وبالنسبة لنا معشر المؤمنين بالله ورسوله فإن الأمر جد لا هزل فيه ، وأن للدين لدوراً هاماً ينبغي أن نبذل جهداً خاصاً لتحديده بوضوح ..

على أنه لا ينبغي علينا أن لا نختلف على أساسيات في طريقة تحديدنا لدور الدين في الحياة ..

ولعلنا نلخص ذلك في مجموعة من الأساسيات فكل عمل في الحياة يتكون من عناصر ثلاثة :

١ – عنصر عقيدي .

٢ – عنصر قومي .

٣ – عنصر فني .

وقد يقتصر دور العنصر العقيدي على مباركة العمل وتشجيعه أو رفضه

وكراهيته ، وقد يقتصر هذا الدور على التحفيز الروحي للإنسان ليتأهب لمثل هذه الأعمال ، فحاجة الأعمال إلى الإنسان المتأهب قد تكون من الأهمية بمكان كبير . وقد يمثل العنصر العقيدي مجموعة من الركائز التي ينبغي أن يرتكز عليها العمل بحيث يدخل في تحديد الأهداف الجزئية ويغلب بعضها على بعض إذا لزم الاختيار بينهما وقد يدخل كذلك كمجموعة من الضوابط والحدود التي لابد أن تدخل في الاعتبار عند تصميم منظومات الأعمال .

أما العنصر القومي فيدخل دائماً معبراً عن البيئة التاريخية التي تعيشها أمة ومن ثم فإن نقط الابتداء للنظم المختلفة سوف تتأثر بهذه البيئة وتتطلب حينئذ حلولا خاصة .

ويتعلق دور جماعات الإسلام القيمي دائماً بتحديد العنصر العقيدي بقيمه وحدوده وضوابطه والتنمية على الخصوصية القومية ، وقد يتطلب الأمر أن تقوم جماعات الإصلاح بدور تربوي أو تعليمي من أجل إشاعة التصور العقيدي للأعمال ، كما أنها تعمل على الاشتراك مع أبناء الوطن الواحد في تحديد الخصوصية القومية .

أما الجزء الفني فأمره متروك إلى تدافع أبناء الوطن من الفنيين ينجزونه في إطار ما تحدد لديهم من العنصر العقيدي والخصوصية القومية ومن هنا فاهتمامات مراكز الدراسات الحضارية لجماعة الإسلام القيمي يجب أن يتركز على العنصر العقيدي في الأعمال أولاً ، وسوف يتطلب ذلك عمليات إسقاط عبقرية لمبادىء الإسلام على الأعمال المختلفة ، وليس ذلك بالضروري أمراً

سهلاً يفتي فيه شيخ حافظ ، وإنما هو أمر يحتاج إلى تكاتف بين علماء كثيرين ليصلوا في النهاية إلى ترجمة روح الإسلام إلى مجموعة من القيم والضوابط والقيود المطلوبة في تصميم منظومات الحياة المختلفة وربما أيضاً تحديد نقاط البدء في هذه التصميمات المختلفة .

هيكل الموضوعات الأساسية التي ينبغي أن تنشغل بها جماعات الإسلام القيمي

لابد أن ندرك أولاً أن مشكلات التغيير الحضاري في العالم الإسلامي ليست لها نظائر مشابهة في أدبيات الحضارة الغربية ومن ثم فلن نتلمس حلولاً لمشاكلنا في المدارس البحثية الغربية ولكننا لابد أن نقوم بالأمر كله من تحديد للمشكلات وتشخيص للأمراض والمعضلات وتبني الحلول المناسبة .

ولذلك فإن مجموعات الإسلام القيمي لابد وأن يكونوا من ذوي الخبرات الحقيقية في شأن من شئون الحياة في بلاد الإسلام بجانب ما يتمتعون به من توجه إصلاحي وقدرات خاصة . وقبل أن نتصور المستقبل لابد وأن نعي أن مهمة الأمة هي المعاصرة تحت صليل السيوف ، وأن نعي أيضاً أن الأمة في حالة ارتباك حضاري نتيجة أننا نعيش ازدواجية بغيضة في كل شيء ، من التعليم إلى السياسة ، وأن فكرنا لابد أن يعمل من أجل إزالة هذه الازدواجية وأن نعي أيضاً أننا لابد أن نتعايش مع أنماط تنموية مختلفة : نمط تنموي بسيط لسد الاحتياجات الضرورية للأمة ونمط متقدم جداً لحماية المنجزات . وأن نعي أن أهم قضية أمامنا كمفكرين هي تحديد خريطة المهام وتحديد نوعية القوى اللازمة لتحقيقها .

وأن نعي أن من أهم المعضلات هي هذه الفوضى في دور الأفراد ودور الحكومات والمؤسسات وأن نعي أن هناك منظومات ناقصة في تكويننا الحضاري ومنها منظومة الإسلام القيمي التي ينبغي أن نسعى لإيجادها .

وأن نعي - وهذه كبرى مشاكلنا - أن كل نظمنا نظم غير « أوّابة » نظم لا تتمتع بطرائق للتصحيح الذاتي إذا حادت عن أهدافها ولعلنا نلخص الموضوعات الأساسية التي يمكن تفصيلها في مجموعة من البحوث وتوزيعها على علماء الأمة فيما يلي :

١ – فلسفة التنمية الإسلامية وهي تشتمل على ما أطلقنا عليه تنمية البقاء وتنمية النماء وتنمية السبق .

٢ – خريطة المهام في كل نوع من أنواع التنمية ، وخريطة القوى البشرية اللازمة لتحقيقها .

٣ – الإعداد التربوي ومناهجه ومؤسساته .

٤ – المعوقات الذاتية والعالمية في التربية والتنمية .

٥ – التوجهات الإصلاحية في الأمة ومدى مطابقتها لخريطة المهام التنموية والتربوية .

ملاحظات أساسية حول جماعة الإسلام القيمي

إن مهمتنا الأساسية هي إنتاج فكر موجه إصلاحياً ، والعمل على بثه حتى يتمثل في مؤسسات أهلية أو حكومية في مجالات التنمية والتربية وينبغي علينا

أن نخصن أنفسنا بدور العقل ولا نضيع الوقت في مهام الجوارح إلا بقدر سعينا المخلص لإقناع الأفراد والمؤسسات بهذا الفكر ولابد أن نسعى لتحميل فكرنا الجماعات الإصلاحية الموجودة في الساحة فهي تملك ناصية قطاعات كثيرة من الشباب المتوجه للإصلاح ولابد أن نسعى لتحميل فكرنا أيضاً في القنوات الثقافية المختلفة وخاصة تحميله على مواد الثقافة الإسلامية في الجامعات والمعاهد . ولابد أن ننسى تضييع الوقت والجهد والمال في إنشاء معاهد من حجر ، ونوفر ذلك كله للباحثين والعلماء كل في موقعه ، فإذا دعت الحاجة الملحة لمكان أو جهاز نعمل على توفيره وإلا فلننطلق دائماً من الرجال لا من الأحجار ولابد أن نبحث في أولويات الجماعات الإصلاحية بين ما يجب أن تقوم عليه من خريطة الأعمال التربوية والتنموية وبين ما يستهويها من بطولات في أعمال صممها الاستعمار بعناية لصرفها عن مهامها الحقيقية وإيقاعها في جب يستنزف كل إمكانياتها من غير ثمرة مرجوة .

ولابد أن نعي أننا لسنا دولاً وإنما نفر من المتخصصين يريدون أن يصلوا إلى مكان التوجيه في نفسية أمتهم بطريق الفكر وضرب الأمثال على تطبيقات هذا الفكر . ومن ثم فلسنا بالضرورة جماعة جماهيرية وإنما نحن جماعة نخاطب عقل الأمة وفؤادها ممثلاً في طبقة المثقفين العليا الذين يملكون دفة التوجيه الفكري المستقبلي . وينبغي علينا أن لا ننفق الوقت الطويل في انتظار الكوارث وتتبعها إلا بقدر ما يعنينا في عمليات البناء والضخ النفسي والروحي في الأمة .

ولقد ثبت من خلال الممارسة الإصلاحية أن أسهل طريق لتجنب أخطار

الكيد الاستعماري يكمن في العمل الدائب من أجل تغيير الذات في صمت خفي .

وثبت أيضا أن الإسراف في تتبع المكر الاستعماري وسوء الظن في كل علاقاتنا بغيرنا يورث القلوب إحباطاً يقعد بها عن العمل .

من أجل ذلك ينبغي أن يجد فكرنا طريقاً قيما بين التركيز على البناء وبين متابعة المكر الاستعماري من غير تفريط في الحذر أو إسراف في الاتهام .

هيكل نشاطات جماعات الإسلام القيمي

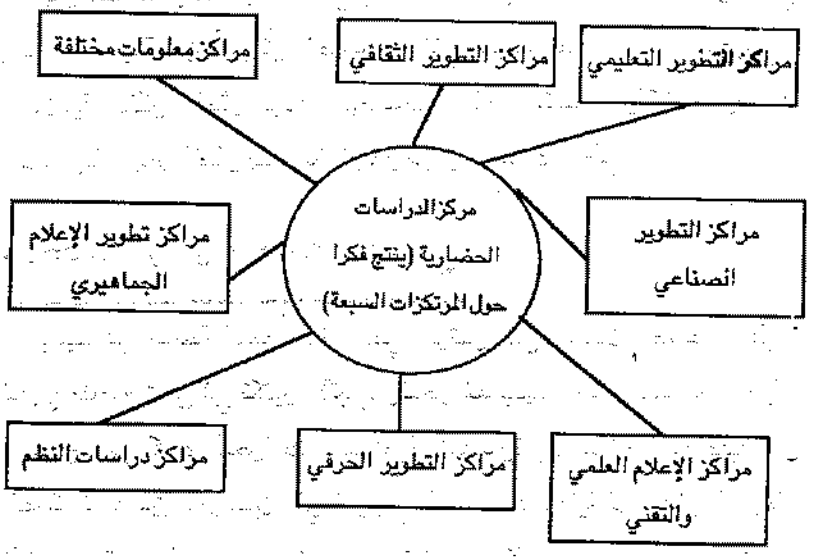

ونلحظ في هذا الهيكل أن مركز الدراسات الحضارية يحتل مكان القلب في هيكل نشاطات جماعات الإسلام القيمي حيث ينبغي على هذه الجماعة أو الجماعات أن ينفقوا من أموالهم وجهودهم ما يستطيعون في سبيل إنشاء مثل هذه المراكز .

ولسوف تكون مهمة هذه المراكز إنتاج فكر حضاري حول المرتكزات السبعة التي ذكرناها آنفاً . وهذه المراكز لا تبغي التأثير المباشر على الجماهير وإنما تريد أن تتوجه بما أنتجت من فكر إلى عقل الأمة الواعي ممثلاً في الطبقة العليا من المثقفين بغية أن تؤثر هذه الطبقة فيما دونها من طبقات من خلال الإبداع الفني والعلمي والتقني .

ومن أهم ما يجب أن تضطلع به جماعات الإسلام القيمي المشاركة في إنشاء مجموعة من المراكز الحضارية التي سوف تمثل المعمل التجريبي لصلاحية الفكر المثل لهذه الجماعات والذي أنتجته مراكز الدراسات الحضارية ، ولعل أخطر هذه المراكز هو مركز دراسات النظم .

ملاحظات حول واقع جماعات الإصلاح

يوجد في ساحة العمل الإصلاحي المرتكز على الإسلام جماعات كثيرة تنتهج مناهج شتى في تكثير الأتباع وشحن فعاليتهم ، وتظل جماعة الإخوان المسلمين هي كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة بلا منازع . والحقيقة أن الحركة تملك من الخريجين (أي خريجي المدرسة الإخوانية في الفكر والحركة) أكثر مما تملك اليوم من التنظيم . إن تنظيم حركة الإخوان اليوم لا يمثل إلا

جزءاً يسيراً من التيار الإسلامي الذي استحدثته هذه الحركة في سيرها الطويل.

ولقد آن لتنظيم هذه الحركة أن يتوقف طويلاً في عملية نقد ذاتية تستهدف بإذن الله خير الإسلام في أمتنا الأمثلة في رجال الإسلام.

لقد أعاد الإمام الشهيد حسن البنا إلى الفكرة الإسلامية شمولها بعد أن ظلت عوامل الهدم تعمل على حصرها في مساحة ضيقة من النشاط الإنساني. وكان من الطبيعي أن تؤثر شمولية الفكرة الإسلامية على مفهوم التنظيم الإخواني فينبثق من المهد تنظيماً شمولياً. ومن هنا فإن التنظيم الإخواني لم يعمل فحسب على شحذ الفعالية الاجتماعية للأمة وإنما انطلق إلى مهام أخرى يتعلق معظمها بالعمل السياسي. لقد انطلق التنظيم ومازال إلى ساحة العمل السياسي دون أن يعد له عدته من مؤسسات الإسلام القيمي، ومن ثم فإننا نرى أنه قد خلط بين شمول الإسلام وبين شمول التنظيم.

فالإسلام دين ودولة، كذلك عند الجماعة التنظيم دين ودولة.

ونحن اليوم نعيش عصراً دقت فيه التخصصات دقة متناهية وأصبحت الأعمال الحضارية طيفاً فيه آلاف الألوان.

وأصبح هناك متخصصون في التربية ومتخصصون في السياسة ومتخصصون في كل نشاطات الحياة.. ومن هنا فإن مفهوم الجماعة الشمولية التي تقوم على نشاطات الحياة جميعاً أمر يجب أن يراجع من وجهة نظر

الفعالية الحضارية والأمن القومي .وأنا أعلم أن الأستاذ البنا رحمة الله عليه قد فعل ذلك في أيامه الأخيرة ، فعندما توالت النذر بهجمة بربرية على الجماعة طلب من الأستاذ فتحي رضوان أن يأخذ معه هؤلاء المتهيئين للعمل السياسي ويترك له أمر العمل التربوي الحضاري .(جزئيات هذا الأمر رواها لي أخي الأستاذ عبد الحليم محمد أبو شقة).

إن الجهد المطلوب في العمل التربوي الحضاري أمر يمكن أن يستغرق عشرات من الجماعات المختلفة ، كل جماعة تركز على توجه حضاري بعينه تربي عليه قطاعات من الأمة وتضع له المناهج وتقيم له المؤسسات . ومن العجب أن معظم الجماعات الإصلاحية العاملة في الساحة الإسلامية لم تبذل جهداً ذا بال في وضع مناهج تربوية تتفق واحتياجات القوى البشرية التي تعمل من أجل شحذ فعاليتها واكتفت معظمها ببعض كتب التراث أو ببعض كتب القادة .

إن آلاف المربين يتعاونون من أجل تأليف كتاب في المطالعة لسن طلابي معين بينما تقوم جماعات بأكملها على مجموعة شعارات دون أن تبذل جهداً في عمل تربوي خلاق .

وبهذه النوعية من البشر التي لم تبذل جهداً واضحاً في إعداد مناهج تربيتها ، تريد أن ترث الأرض ومن عليها ...

وعندما أتحدث عن التربية فإنما أعني بذلك التربية الحضارية بطيفها الكامل والذي يبدأ بشحذ الفعالية الروحية للإنسان ومنتهياً بالتربية السياسية مروراً بالتربية الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والتقنية إلى غير ذلك من نواحي التربية الكاملة للإنسان .

ولقد ألمحنا من قبل إلى أن الضرورة الحضارية تقتضي وجود أنواع ثلاثة على الأقل من الجماعات الإصلاحية هي :

١ – جماعات شحذ الفعالية الاجتماعية .

٢ – جماعات الإسلام القيمي .

٣ – جماعات الإسلام المؤسسي .

ولا جدال أن توعية الرجال الذين يقومون على مهمة بعينها من المهام الثلاثة سالفة الذكر تختلف من مهمة إلى مهمة ومن ثم ليس من الضرورة أن يجمعهم تنظيم واحد ينخرطون فيه جميعاً بحيث تختلط المهام أو تضيع ولا يبقى بعد ضياعها إلا فكرة الانتماء للتنظيم كرابطة عضوية قبلية . ولكن ينبغي أن تكون هناك دوائر ارتباط بين كل هذه الجهود حتى تتجه كلها إلى قبلة واحدة ، هذه الدوائر ينبغي على الحركة أن تصممها بإحسان وتعمل على تحسينها وتطويرها . فمثلا جماعات الإسلام القيمي من ناحية لابد أن يحملوا خلاصات فكرهم لجماعات شحذ الفعالية الاجتماعية حتى يستفيدوا منها في تربية الجماهير المحتشدة معهم . ومن ناحية أخرى لابد أن تحمل هذه القيم وما أفرزته من جزئيات دقيقة إلى جماعات الإسلام المؤسسي حتى يستفيدوا منها في بناء المؤسسات المرجوة .

كما أن المهمة الخاصة بشحذ الفعالية الاجتماعية والتي من طبيعتها الاتصال الجماهيري المباشر تغري القائمين على أمر هذه المهام باستبقاء هذه الجماهير في تنظيمات دائمة . ويتفاقم الأمر إذا كانت مثل هذه الجماعات

تعمل في ظل غير شرعي حيث تجمد هذه الجماهير في مواقعها الحركية في انتظار مهام وهمية معطلة نفسها عن المشاركة في البناء بأساليب تسمح بها النظم القائمة إنما ينبغي أن تدفع حركة شحذ الفعالية الاجتماعية بهذه الجماهير إلى خضم التيار الإسلامي مزودين بالهمة الحضارية والتوجه الإسلامي فيتخذوا لأنفسهم مكاناً في خريطة المهام الحضارية المختلفة ولا مانع أن تستبقى الحركة فقط أولئك القادرين على العطاء في الميدان الذي تخصصت فيه الحركة المعنية.

وبعد فإن إعادة النظر في أمر التنظيمات الشمولية أصبح فرض عين علينا نحن أبناء هذا التيار الإسلامي، ولابد من البحث الجاد عن صيغة حضارية للعمل الإصلاحي من خلال تنظيمات متخصصة تعمل في إطار شرعية الدولة وتتفلت ما استطاعت من الصدام، إلا أن يكتب عليها، فتصبر حينئذ وتحتسب، ثم تعيد التشكيل ليصبح أكثر تناسباً مع البيئة الجديدة.

وهكذا في ديناميكية حضارية تستهدف وجه الله في كل نسكها ولا تشرك به هيئة أو تنظيماً.

بعض الملاحظات المتفرقة حول دور الحركة الإسلامية

ويبقى لي بعض الملاحظات المتنوعة حول دور ونشاط الحركة الإسلامية فأحياناً أجلس مع نفسي أتأمل موضوعاً بعينه فتأتيني فكرة جزئية حول الموضوع فأبادر بتدوينها في قصاصة من الورق وأودعها ملفاً في موضوعها.

وعندما بدأت أكتب هذا الفصل عن الحركة الإسلامية وجدت في ملفها كثيراً من هذه الملاحظات ، فأحببت أن أضعها بين يدي القارىء لعلها تكون ذات نفع عام ، والله من وراء القصد.

(أ) طبيعة التحدي الذي يواجه الحركة :

تحسن الحركة الإسلامية صنعاً إذا تبصرت بطبيعة التحدي الذي يواجهها وتحسن أكثر إذا قسمته إلى عناصر محددة وواضحة .

فمثلاً ابتداءً من الواقع يمكن أن يكون التحدي هو إزالة الفرقة الشعورية عند الناس عن مفاهيم الإسلام الجوهرية ونشر كتب المشوقات التربوية بحيث يتكون عند المسلم تدريجياً وتراكمياً كم من الهمة الحضارية والثبات في خندق الإسلام .

إن أهمية المشاركة الشعورية للأمة هو أننا في عمليات البناء التنموي سنحتاج لمشاركة الأمة الكاملة ، فبناء النظم لا يمكن أن يضطلع به مجموعات النفر الحضاري وحدهم ولا ينبغي أن ينشغلوا به كثيراً . ذلك أمر يحتاج إلى تدافع الناس جميعاً .

وأمامنا فرصة سانحة في النقابات والنوادي حيث تتركز مهمتنا في إعداد المسرح ليتدافع فوقه كل الشرفاء من الناس .

إن إعطاء المثل في العمل النقابي على ترسيخ الحقيقة المتمثلة في عزوف مجموعات النفر الحضاري عن الدنيا وتركيزهم على إعطاء الفرصة للناس ، جميعا في ظل إطار من مبادئهم سوف يساعد كثيراً في عمل الدعوة وسيزيل

الشكوك التي مازال أعداء أمتنا ينفثونها في عقول الناس . و سيخفف من حدة انشغال مجموعات الفقه الحضاري وجدهم بالعمل التنموي . أننا نعيش في بيئة حضارية تمتلك نظماً يمكن توظيفها بسهولة في الاتجاه السليم . وعملية التوظيف هذه تحتاج إلى فكر إبداعي يخرج من بطون أمة كاملة لا نفر قليل .

(ذلك مثلهم في التوارة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطءه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه .. يعجب الزراع ..)

(سورة الفتح من الآية ٢٩) ولابد أن يعاد النظر في قاموس المفردات التي استخدمتها الحركة الإسلامية طويلاً حيث أن كثيراً منها يحمل معان تحمل على التزايل والاختلاف . فألفاظ مثل قيام الدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة ينبغي أن تستبدل بألفاظ أقل حدة مثل أسلمة القوانين والنمو الإسلامي في المجتمع إلى غير ذلك مما يمكن اختياره بعناية في المستقبل .

إنه ينبغي أن تشعر الأمة بدرجة كبيرة من الالتحام مع الحركة الإسلامية وإن لم تشارك في نشاطاتها لأن هذا الالتحام سوف يكون هو الرصيد الذي تملكه الحركة الإسلامية في الشارع وربما كان عوناً لها ضد شدة القمع . فالاستعمار لا يضرب الحركة الإسلامية إلا وقد اتخذ سبيل المزايلة بينها وبين باقي الجماعات وجعلها وحدها في جهة وكل غيرها في جهة أخرى .. ثم يقبل ضاريا ... فلا يستثير في الأمة أية ردود فعل للدفاع عن هذه الحركة .

ومن هنا فإن منهج الحركة الإسلامية مع الشارع ينبغي أن يحرص على

الإلتحام ، والذي لن يتحقق إلا بتقسيم التحدي الكبير إلى تحديات صغيرة قد نتفق فيها مع غيرنا ومن ثم نلتحم معهم فيها . ففي قضايا التنمية المختلفة يمكن التلاحم مع كثيرين تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى والاستفادة من هذا التلاحم في تضييع الفرصة على الاستعمار في عملية تزييل الحركة الإسلامية .

(ب) العنف والعنف المقابل : نظرات حضارية

رأيتني وأنا أحاول أن أستجمع شتات الفكر في هذا الأمر أركز على اتجاهين :

ـ اتجاه الفتنة التي يبغينا بها المكر الاستعماري .

ـ واتجاه القابلية للاستعمار التي مكنت لهذا المكر في داخلنا .

فالفتنة يشعلها أبالسة العصر ويستهدفون بها إيقاف النبض في مصر ... قلب العالم الإسلامي . أنا أزعم أن المكر الاستعماري يعمل ليل نهار في أرضنا .. ومن أساليبه خلق دوامات متصارعة .. وهو يفعل ذلك بعلم شديد ..

في مصر اليوم كل الدوامات .. بدءاً من باطنية فاقت باطنية القرون الأولى إلى حركات تتحلق حول جزئيات في التراث تركز عليها وما دونها الموت ... إلى علمانية بكل أنواعها على السواء ... انفصام في شخصية الأمة يقتل الرشد ويقضي على القصد ويهلك الزرع والنسل .

ـ ولأن الإسلام كان ومازال هو القادر على مجابهة الاستعمار ، فلابد من

تشويه صورته بخلق أشكال تدعيه وما هي منه في شيء ، ثم عملية لصقها به وجعلها صورته المثلى .

ـ والمكر الاستعماري له جنوده في أرضنا .. أساتذة في الجامعات ومراكز البحوث ..ورجال إعلام ... وقضاة ... ورجال أمن ... لا يجمعهم جميعا إلا العمالة الباطنة للمكر الاستعماري ... وهم أدوات هذه الفتنة ... يبغوننا إياها .. وينفخون في نارها أناء الليل وأطراف النهار .

ـ ولأنهم يبغوننا الفتنة فلا بد أن ننتبه إلى عملهم في الطرفين .. بين الوالد وما ولد وبين الحكومة والمحكومين .. ولذلك لابد أن نتوقع أندساسهم هنا واندساسهم هناك . وأي تصور للأزمة على أنها ذاتية فحسب تصور ناقص مبتور .

ـ وأحسب أننا ـ حكاماً ومحكومين ـ في حاجة إلى مواجهة هذا المكر الاستعماري بمكر مثله .. وأول الطريق أن نتبين أنه ما كانت لهذه الفتنة أن تضطرم وتزداد من غير تواجد لقابلية لها عند هذه الأمة ... فيما أسماه أستاذنا مالك بن نبي القابلية للاستعمار وأدوات هذه القابلية الشمطاء سبع وهي :

١ – البطالة الظاهرة والباطنـــة ، فالأمة خالية من هموم التحدي الحضاري ، وطاقات معطلة في كل مكان ... وجربوا تجربة البطالة في بيوتكم على مستوى أسركم ... وسوف تجدون عنفاً ربما يصل إلى القتل .

وبعضنا الذي عاش في الغرب رأى كيف ينشغل الناس في منظومة حياتهم انشغالاً عظيماً لا يترك لهم فرصة للتفكير في غير العمل .

٢ – التطفيف الاجتماعي : حيث تتغاضى كل الأطراف عن نواحي النقص عندها بينما تفترض وجوب وجود مثاليات في غيرها .

فلا إثم عليَّ أن أنحرف انحرافاً يسيراً أو كبيراً ولكن ينبغي على الآخر أن يتمثل بعمر بن الخطاب ويمضي على دربه .

هذا التطفيف يشعل الأزمة إشعالاً وينبغي أن تدرك أنه طريقنا إلى النار (ويل للمطففين)

٣ – غياب العلم الشرعي واضمحلال المؤسسة الدينية في مصر حيث أصبح الناس يأخذون دينهم من آلاف الكتب المحققة وغير المحققة ، وحصيلتهم من أدوات العلم قدرة هزيلة على القراءة ـ في الأربعينات من هذا القرن والخمسينات كانت المؤسسة الدينية قادرة على إفراز الآلاف من العلماء الذين كانوا ينتشرون في القرى والنجوع ويضبطون موازين التدين عند الشباب ثم تقوم الحركة الإسلامية بتوجيه الطاقات إلى وجهة حضارية قاصدة . وأحب أن أؤكد أنه لن ينمو توجه إسلامي راشد من غير إصلاح لمنظومة التعليم الديني المزقة الآن .

٤ – القراءة الخاطئة لأحداث التاريخ الإسلامي .. حيث يتم ربط أحداث تمت في ظروف مغايرة بواقع مختلف تماماً .. فلا نحن أحسنا قراءة التاريخ ولا نحن أحسنا فهم الواقع ومن ثم يأتي الربط بين التاريخ والواقع خاطئاً في معظم وجوهه .

٥ - الشعور بضياع الهامش الإصلاحي في الدولة وعدم رؤية الضغط الاستعماري الذي يقيد أيدينا عن الإصلاح ، إن هذا الضياع كارثة ...إذ يدفع ذلك كل الناس إلى حلول غير مأمونة العواقب . فعندما يفقد الناس الأمل في أي إصلاح في الدولة ، سيكثر بينهم من يتخذ العنف طريقاً للتغيير .

٦ - تسييس شباب الجماعات الإصلاحية وعدم دفعهم إلى أعمال تنموية وتربوية وعدم وضوح المناهج التربوية والتنموية لدي معظم هذه الجماعات إن وجدت .

٧ - غياب التشخيص الحضاري : فإنه لا يكفي أن نكتشف أننا مرضى ولكن ينبغي أن نشخص المرض . وأخشى أن أقول أن كثيراً من تشخيصنا يؤدي إلى زيادة المرض ولابد أن ندرك أن كثيراً من تخبطنا لا ينشأ بالضرورة عن فساد وإنما ينشأ عن عدم أخذ الأمور الفنية العصرية ولذلك فإنه ينبغي علينا ونحن ننظر إلى الأمور أن نحسن التشخيص ولا نطلق صرخة الفساد والإفساد على كل شيء.

(جـ) حول الروحية الاجتماعية والطرق الصوفية

نلخص فهمنا للروحية الاجتماعية في عناصر ثلاث :

فهي تعبد مكثف يصل الإنسان بالله في ساحات الزمان والمكان وزهد عظيم في متاع الحياة الدنيا وعطاء بلا حدود للمجتمع .

وأشد ما نحتاجه في مراحل الإقلاع الحضاري هو شحذ هذه الفعالية

الروحية الاجتماعية وإذا افتقدتها أمة في هذه المرحلة فإنها ستعجز لا محالة عن الإقلاع .

ـ ولا جدال أن الإشراق الروحي والشفافية الخاصة لبعض عباد الله لها تأثير كبير في شحذ الفعالية الروحية الاجتماعية للأمة بما يقدموه من قدوة صالحة مضيئة في حياتهم وما يتركوه خلفهم من تلاميذ يمضون على نفس دربهم الروحاني الاجتماعي .

ـ ولكن هذه الشفافية وهذا الإشراق الروحي ليس مادة يرثها أشخاص بينهم أو يورثها أصحابها لمن يريدون ، فإن الله أعلم حيث يجعل رسالته ، ومن هنا فإن هذه « المادية » في التعامل الروحي وفي التماس الصفاء الروحي والإشراق النفسي تبدو لنا غريبة للغاية .

إذ أننا نفهم أن ترث قيادات اجتماعية قيادات أخرى في مجال الإصلاح الاجتماعي المادي حيث أن هذا الإصلاح مرتبط ارتباطاً وثيقاً بأشياء مادية واضحة ، كأن تقوم جماعة لإصلاح التعليم أو جماعة لإصلاح الاقتصاد ، فتتوالى القيادة في تنظيمات هذه الجماعات جيلاً بعد جيل .

ولكن كيف تورث إشراقات النفس وشفافية القلوب ونور الأفئدة .. ومن هذا الذي هو جند لكم يستطيع أن يمسك بضياء القلوب فيضعها حيث يشاء .

ـ إننا ولا جدال ننكر هذا التوجه الذي يجفف منابع الفطرة الدينية في أعماق المسلم من الرقة الحانية والخشوع المستطاب والحزن الجميل والعشق الخالد لقيم العلا والمجد التي تقف خجلى عند أقدام سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونعتقد أن مثل هذا التوجه سيذهب به الدين وتضيع به الدنيا ، ولا تحسبنا في حاجة أن نضرب الأمثال للناس فإنها واضحة من واقعهم .. فحيث ساد هذا التوجه الخاطئ رأينا انصراف الناس عن الدين وإن تمسكوا بمادياته .

ولا ضير عندنا أن يتحلق الناس حول رجل صالح واضح الخطوة من العطاء الروحي والإشراق النفسي فيلتمسون فيه القدوة الصالحة ويجدون الخير في مجالسته ومصاحبته .. وربما أنشدوا القصائد الحلوة ترقيقاً للمشاعر وترفيهاً جميلاً للنفس وتغنوا بها غناء عذباً .. كل هذا لا ضير فيه ، ولكنه لا يحسب عندنا في الهمة الحضارية الإسلامية إلا بمقدار ما يشحذ فعالية المؤمن في الحياة لينطلق فيها يعمر الأرض . ويحمل كلمة الحق في كل مكان أما أن يكون هذا هو كل هم المسلم فذلك تفريط ما بعده تفريط .. ولمن إذاً يترك مهمة بناء مجتمعه المسلم ؟ .. أيبنيه الكافر والجاحد والفاسق ، بينما يعيش المؤمن رهينة التمتع الإشراقي الروحي لا يكاد منه يفيق .. هذا وألله أمر عجاب .

ـ ثم إن مجاهدة النفس ليست بالضرورة عملاً جماعياً وإنما هي بالدرجة الأولى عمل فردي ذاتي يخلص فيه المؤمن ويتفانى في تحقيقه فيمن عليه الله بحظه من الإشراق والصفاء يعينه على دربه ويأخذ بيده إلى سبيل السلام

(د) دعوة لعمل اتحاد للمراكز الفكرية الإسلامية

بدأت على استحياء مجموعات من المفكرين الإسلاميين يكونون مراكز فكرية هنا وهناك ، نرى أهمية تجميع كل هذه الجهود وتنسيق العمل بينها لأسباب هامة :

أولاً : قلة هؤلاء المفكرين عددياً .

ثانياً : ضعف الإمكانيات المادية المبذولة لهذا النوع من المراكز .

وإن عملية التجميع التي ندعو إليها تحتاج في ذاتها إلى إمكانيات مادية ووضع مخطط فكري يتم ترجمته بمجموعة من المشاريع الفكرية ثم تتم عنصرة هذه المشاريع إلى عناصر دقيقة حيث نقوم بتوزيعها بجهد مشترك من هذه المراكز جميعاً .

ولعلنا نلخص جوهر العمل الاتحادي كما يلي :

ـ وضع استراتيجية فكرية وترجمتها لمجموعة مشاريع .

ـ النظر في تحميل أجزاء من هذه المشاريع على جهات مختلفة يمكن أن تستفيد من هذه المشاريع .

ـ عنصرة المشاريع ذات الأولوية في البحث عنصرة دقيقة .

ـ عمل ندوات حول هذه المشاريع يقيمها الاتحاد للتأكد من التوجهات الفكرية .

ـ توزيع عناصر البحوث على المفكرين .

ـ استخلاص النواحي العلمية والتنفيذية التي تهم صانع القرار .

ـ عمل ندوات ومحاضرات عامة لتحميل الفكر في قنوات إعلامية .

(هـ) أنواع العمل الفكري

لاحظت أن كثيراً من المراكز الفكرية الإسلامية غير واضحة في أهدافها ، ولعلي في إيجاز شديد أعدد أنواع العمل الفكري حتى يعلم القائمون على هذه المراكز نوعية ما يفعلون وماذا يريدون . وهذه بعض أنواع العمل الفكري :

- **فكر استراتيجي حركي** : يهتم بوسائل التغيير في المجتمع ومناهضة المكر الاستعماري وتحديد أولويات التحرك ...

- **فكر حضاري** : يحدد الموقف الحضاري والتحديات الحضارية الغربية ، الأولويات الحضارية ـ والأخلاق الحضارية ...

- **فكر سياسي** : يعني بالموقف السياسي وبرامجه ـ والمكر السياسي ومجابهته ـ والنظام السياسي وصناعة القرار ...

- **فكر اجتماعي** : يدرس الظواهر الاجتماعية والمؤثرات فيها والعوامل المختلفة التي تؤثر على هذه الظواهر ...

- **فكر قيمي** : يقوم باستخراج القيم الحاكمة في مجالات الحياة من القرآن والسنة .

- **فكر تربوي** : يصوغ فلسفة التربية سواء داخل جماعات الإصلاح أو داخل الأمة .

- **فكر تنموي** : يضع فلسفة التنمية الراشدة التي ينبغي أن توجه إليها الجهود .

كما أنني أحب أن ألفت الأنظار إلى طبائع المعلومات المختلفة حتى لا نضيع أوقاتنا في تجميع معلومات في هذه المراكز لا ندري ما نحن فاعلون بها . وهذه هي بعض أنواع المعلومات المطلوب معرفتها :

- معلومات إحصائية عن نشاطات الأمة .
- معلومات تاريخية .
- معلومات اجتماعية .
- معلومات اقتصادية وتنموية .
- معلومات سياسية .
- معلومات عن التحركات السياسية العالمية .
- معلومات عن التحركات السياسية الداخلية .

فإذا كنا جماعة من المهتمين بإصلاح التعليم مثلاً في قريتنا فهل يعقل أن نفتتح مركزاً للمعلومات ونضيع أو قاتنا في اقتناء معلومات عن التحركات السياسية في العالم .. هذا عمل غير نافع .

ولعلي أختتم هذه الملاحظات عن المراكز الفكرية بضرورة تنسيق الجهود وتجميع الإمكانيات سواء مادية أو بشرية قدر الإستطاعة ، ولنعلم أن الذي نتسابق في سبيله هو دين الله الذي يأمرنا بالتواضع والإيثار وألا تعلم يسار المؤمن ما تنفق يمينه ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

مراجع

١- د. سيد دسوقى حسن : **مقدمات فى البعث الحضارى** (الكويت : دار القلم، الطبعة الأولى ١٤٠٧ - ١٩٨٧) .

٢- د. سيد دسوقى حسن، د. محمود سفر (**ثغرة فى الطريق المسدود**) دراسة فى البعث الحضارى (القاهرة: دار آفاق الغد الطبعة الأولى ١٤٠١ - ١٩٨١) .

الفهرس

مقدمة ٥

شكر واجب ٩

الباب الأول: المتطلبات النظرية للمبعث الحضارى ١١

الفصل الأول: الهيكل الحضارى للتنمية ١٣

• ملاحظات حول الهيكل الحضارى للتنمية ١٦

• التخطيط لعالم الأشياء ٢١

• الأصول الاسلامية لنظريتنا التنموية ٢٣

الفصل الثانى: الأخلاق الحضارية ٣٠

١- البر بالأوطان هو الامتداد الطبيعى للبر بالآباء ٣٠

٢- التأهب لفروض العين وفروض الكفاية ٣٣

٣- الوعى المستنير بخريطة الفروض الحضارية ٣٥

٤- الاستعلاء النفسى (الثقة فى الله) ٣٧

٤- ١ - الجاه الكاذب ٣٨

٤ - ٢ - التطفيف الاجتماعى ٤٥

٥ التصديق بالحسنى ٤٦

٦- المحاولة الدائبة والفكر الأواب ٤٧
٧- ازدواج العلم والامانة ٤٨

الفصل الثالث: مقدمات فى التنمية الثقافية للامة الاسلامية ٥١
تمهيد ٥١
ماهية الثقافة ٥٣
تفصيلات لاطياف المخطط الثقافى السبعة ٥٧

الفصل الرابع: أسلمة المعرفة والمعرفة الاسلامية ٧٦

الباب الثانى: امكانيات البعث الحضارى وتحديات الواقع ٨٧

الفصل الأول: دور العلماء فى مستقبل الحضارة العربية ٨٩
١- علماء الأمة والتنمية السياسية ٩٢
٢- علماء الأمة وطبيعة بحوثهم ٩٣
٣- العالم والسياسى ٩٤
٤- الثرى والعالم ٩٥
٥- العالم والاصلاح الاجتماعى ٩٦
٦- العالم وفرص النمو فى الأمة ٩٧
٧- اتحادات العلماء ٩٨

الفصل الثانى: حول طبيعة العلوم التجريبية وفلسفة المنهج التجريبى ١٠٠

الصراط المستقيم ١٠٣
الفصل الثالث: التعليم والبطالة ١١٠
تمهيد ١١٠
التعليم والتنمية ١١٢
تنمية البقاء ١١٣
تنمية النماء ١١٤
تنمية السبق ١١٦
حول أدوات التنمية ١١٧

الفصل الرابع: الدولة الاسلامية ضرورة حضارية ١٢٣
تمهيد ١٢٣
تحديات البناء ١٢٥

الفصل الخامس : ملاحظات حول دور الحركة الاسلامية فى البناء الحضارى ١٣٥
ملاحظات اضافية حول الجماعات الاصلاحية واهم أنواعها ١٤٢
أهمية جماعات الاسلام القيمى ١٤٣
هيكل الموضوعات الاساسية التى ينبغى ان تنشغل بها جماعات الاسلام القيمى ١٤٦
ملاحظات اساسية حول جماعة السلام القيمى ١٤٧
هيكل نشاطات جماعات الاسلام القيمى ١٤٩
ملاحظات حول واقع جماعة الاصلاح ١٥٠

بعض الملاحظات المتفرقة حول دور الحركة الاسلامية ١٥٤
أ- طبيعة التحدى الذى يواجه الحركة ١٥٥
ب- العنف والعنف المقابل: نظرات حضارية ١٥٧
ج- حول الروحية الاجتماعية والطرق الصوفية ١٦٠
د- دعوة لعمل اتحاد للمراكز الفكرية الاسلامية ١٦٢
هـ- أنواع العمل الفكرى ١٦٤

مقدمات جديدة فى مشاريع البحث الحضارى

رقم الايداع	١٩٩٢/٣٤٦١
رقم دولى	٤ - ٣٧٥٣ - ٠٠ - ٩٧٧

مطابع روزاليوسف الجديدة